تعريف الأنام

فى التوسل بالنبى وزيارته عليه الصلاة والسلام

للامام العالم العامل الورع المحقق

أبى عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدرى الفاسى

المالكى الشهير بابن الحاج صاحب المدخل رضى الله عنه

راجعه الاستاذ الجليل العالم العامل شيخ المالكية

ورئيس لجنة الفتوى بالأزهر الشريف .

(الشيخ محمد عبد الفتاح العنانى كان الله له)

ويليه : سهام الموحدين فى حناجر المارقين

للأستاذ الجليل أبى بكر خيون

ويليه (سهام الجلالة فى أفئدة أهل الضلالة)

للعارف بالله تعالى الشيخ عبدالصمد أحمد الحسينى السنان

ويليه (فصل المقال فى حكم الصلاة بالنعال)

للشيخ عبد الله بن محمد الهادى بن عبد القادر البلبيسى

الطبعة الأولى سنة ١٣٧٠ هـ

(مطبعة الصدق الخيرية بدرب الأتراك رقم ١ بالأزهر بمصر)

لصاحبها : الشيخ إسماعيل عبد الله المغربى الصاوى

﴿تقريظ كتاب﴾

تعريف الأنام

في التوسل بالنبي وزيارته عليه الصلاة والسلام

للشيخ الفقيه العالم العامل بقية السلف الصالح مالك الصغير شيخنا أبو عبد الله محمد عبد الفتاح العناني شيخ المالكية ورئيس لجنة الفتوى بالازهر المعمور بارك الله فى عمره ونفع الله عز وجل المسلمين بعلمه آمين

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على أشرف الخلق سيد المرسلين وخاتم النبيين . سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين (أما بعد) فقد اطلعت على هذه المجموعة فوجدتها مجموعة صح ما فيها من أحكام . وهى موافقة للشريعة المطهرة على صاحبها مبلغها أفضل الصلاة والسلام . إذ أنها قد اشتملت على ثلاثة امور حكم زيارة القبور والتشرف بزيارة المصطفى عليه الصلاة والسلام بعد انتقاله إلى الرفيق الاعلى والتوسل بالأنبياء والأولياء والصالحين وحكم الصلاة فى النعلين .

(أما الاول) فيكفى فى الاستدلال عليه قوله صلى الله عليه وسلم (كنت نهيتكم عن زيارة القبور الا فزوروها فانها تذكركم الآخرة) .

(وأما الثانى) فدليله قوله تعالى (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما)

وبجيئه عليه الصلاة والسلام بعد مماته كالمجيء اليه فى حياته . وقوله تعالى (قالوا ياموسى ادع لنا ربك بما عهد عندك) الآية . وفعل عمر رضى الله عنه من غير نكير عليه من الصحابة .

(واما الثالث) فالذى أعتمد ان الخير والأحوط ترك الصلاة فى النعال بل يجب ذلك إلا لمن وثق بطهارة نعله ولا سيما فى مثل بلادنا التى يكثر فيها المراحيض وغيرها من القاذورات والنعال مغموسة فيها حتى لا تكاد تقبل التطهير بالماء لتشربها للنجاسة . هذا وجزى الله الكاتبين خير الجزاء ووفقنا وإياهم لما يرضيه والحمد لله رب العالمين *

كتبه الفقير إلى عفو ربه

محمد عبد الفتاح العنانى شيخ المالكية

فى يوم ١٢ ربيع الآخر سنة ١٣٧٢ هـ

هذا الحديث شرح لقول المصنف رحمه الله تعالى فى آخر منظومته

(والجهل ساد وأهل العلم قد لزموا * فيه الحياد وقالوا الا

عن أبى أمية الشعبانى قال أتيت أبا ثعلبة الخشنى رضى الله تعالى عنه فقلت له كيف تصنع فى هذه الآية قال أية آية قلت قول الله تبارك وتعالى (ياأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم) قال أما والله لقد سألت عنها خبيرا سألت عنها رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم فقال (بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذى رأى برايه فعليك بخاصة نفسك ودع العوام فان من ورائكم أياما الصابر فيهن مثل القابض على الجمر للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلا يعمل كعملكم قيل يارسول الله أجر خمسين رجلا منا أو منهم قال بل أجر خمسين منكم) رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة وسلام على سيدنا محمد أشرف الخلق أجمعين . قال الشيخ الإمام العالم العامل الورع المحقق أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدرى الفاسى المالكى الشهير بابن الحاج فى مدخله الذى قال فيه الحافظ بن حجر أمير المؤمنين فى الحديث رحمه الله تعالى هو كثير الفوائد كشف فيه عن معائب وبدع يفعلها الناس ويتساهلون فيها وأكثرها مما ينكر وبعضها مما يحتمل توفى بالقاهرة سنة ٧٣٧ . رحمه الله تعالى ونفع بعلومه .

(قال فى فصل زيارة القبور)

. وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن زيارة القبور ثم أباحها بعد ذلك فقال عليه الصلاة والسلام (كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها ولا تقولوا هجرا) وفى رواية أخرى فانها تذكر الموت فجعل عليه الصلاة والسلام فائدة زيارة القبور تذكرة الموت وصفة السلام على الأموات أن يقول (السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات رحم الله المستقدمين منا والمستأخرين وإنا إن شاء الله تعالى بكم لاحقون أسأل الله لنا ولكم العافية اللهم اغفر لنا ولهم) وما زدت أو نقصت فواسع والمقصود الاجتهاد لهم فى الدعاء فانهم أحوج الناس لذلك لانقطاع أعمالهم ثم يجلس فى قبلة الميت ويستقبله بوجهه وهو مخير فى أن يجلس فى ناحية رجليه إلى رأسه أو قبالة وجهه ثم يثنى على الله تعالى بما حضره من الثناء ثم يصلى على النبى

صلى الله عليه وسلم الصلاة المشروعة(١) ثم يدعو للميت بما أمكنه وكذلك يدعو عند هذه القبور عند نازلة نزلت به أو بالمسلمين ويتضرع إلى الله تعالى فى زوالها وكشفها عنه وعنهم وهذه صفة زيارة القبور عموما فان كان الميت المزار ممن ترجى بركته فيتوسل إلى الله تعالى به وكذلك يتوسل الزائر بمن يراه ممن ترجى بركته إلى النبى صلى الله عليه وسلم. بل يبدأ بالتوسل إلى الله تعالى بالنبى صلى الله عليه وسلم إذ هو العمدة فى التوسل والأصل فى هذا كله والمشرع له فيتوسل به صلى الله عليه وسلم وبمن تبعه باحسان إلى يوم الدين وقد روى البخارى عن أنس رضى الله تعالى عنه (أن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه كان إذا قحطوا استسقى بالعباس رضى الله تعالى عنه فقال اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبيك صلى الله عليه وسلم فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبيك فأسقنا فيسقون) ثم يتوسل بأهل تلك المقابر أعنى بالصالحين منهم فى قضاء حوائجه ومغفرة ذنوبه ثم يدعو لنفسه ولوالديه ولمشايخه ولأقاربه ولأهل تلك المقابر ولأموات المسلمين ولأحيائهم وذريتهم إلى يوم الدين ولمن غاب عنهم من إخوانه ويجأر إلى الله تعالى بالدعاء عندهم ويكثر التوسل بهم الى الله تعالى لأنه سبحانه وتعالى اجتباهم وشرفهم وكرمهم فكما نفع بهم فى الدنيا ففى الآخرة أكثر فمن أراد حاجة فليذهب إليهم ويتوسل بهم فانهم الواسطة بين الله تعالى وخلقه وقد تقرر فى الشرع وعلم ما لله تعالى بهم من الاعتناء وذلك كثير مشهور وما زال الناس من العلماء والاكابر كابراً عن كابر مشرقا ومغرباً يتبركون بزيارة

(١) وهى: اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم فى العالمين إنك حميد مجيد

قبورهم ويجدون بركة ذلك حساً ومعنى وقد ذكر الشيخ الامام أبو عبدالله ابن النعمان رحمه الله تعالى فى كتابه المسمى (بسفينة النجاء لأهل الالتجاء فى كرامات الشيخ أبى النجاء) فى أثناء كلامه على ذلك ما هذا لفظه : تحقق لذوى البصائر والاعتبار أن زيارة قبور الصالحين محبوبة لأجل التبرك مع الاعتبار فان بركة الصالحين جارية بعد مماتهم كما كانت فى حياتهم والدعاء عند قبور الصالحين والتشفع بهم معمول به عند علمائنا المحققين من أئمة الدين . انتهى ، ولا يعترض على ما ذكر من أن من كانت له حاجة فليذهب إليهم وليتوسل بهم بقوله عليه الصلاة والسلام فى الصحيح (لاتشد الرحال إلا لثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدى والمسجد الأقصى) ، وقد قال الإمام الجليل أبو حامد الغزالى رحمه الله تعالى فى كتاب آداب السفر من كتاب (الإحياء) له ما هذا نصه القسم الثانى وهو أن يسافر لأجل العبادة إما لجهاد أو حج إلى أن قال ويدخل فى جملته زيارة قبور الأنبياء وقبور الصحابة والتابعين وسائر العلماء والأولياء وكل من يتبرك بمشاهدته فى حياته يتبرك بزيارته بعد وفاته ويجوز شد الرحال لهذا الغرض ولا يمنع من هذا قوله صلى الله عليه وسلم (لا تشد الرحال إلا لثلاث مساجد المسجد الحرام ومسجدى والمسجد الأقصى) لأن ذلك فى المساجد لأنها متماثلة بعد هذه المساجد وإلا فلا فرق بين زيارة الأنبياء والأولياء والعلماء فى أصل الفضل وإن كان يتفاوت فى الدرجات تفاوتا عظيما بحسب اختلاف درجاتهم عند الله عز وجل وذكر العبدرى رحمه الله تعالى فى شرحه لرسالة الشيخ الإمام أبى محمد عبدالله بن أبى زيد رحمه الله تعالى ماهذا لفظه وأما النذر للمشى

إلى المسجد الحرام والمشى إلى مكة فله أصل فى الشرع وهو الحج والعمرة وإلى المدينة لزيارة النبي صلى الله عليه وسلم والنبى أفضل من الكعبة ومن بيت المقدس وليس عنده حج ولا عمرة وهذا الذى قاله مسلم صحيح لا يرتاب فيه إلا مشرك أو معاند لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم وقد نقل ابن هبيرة فى كتاب اتفاق الأئمة قال اتفق مالك وأبو حنيفة والشافعى وأحمد بن حنبل رحمهم الله تعالى على أن زيارة النبى صلى الله عليه وسلم مستحبة ، ونقل عبد الحق فى (تهذيب الطالب) عن أبى عمران الفاسى أن زيارة النبى صلى الله عليه وسلم واجبة قال عبد الحق يريد وجوب السنن المؤكدة والحاصل من أقوالهم أنها قربة مطلوبة لنفسها لا تعلق لها بغيرها فتنفرد بالقصد وشد الرحال إليها ومن خرج قاصداً إليها دون غيرها فهو فى أجل الطاعات وأعلاها فهنيئا له ثم هنيئا له اللهم لا تحرمنا من ذلك بمنك يا كريم سمعت سيدى أبا محمد رحمه الله تعالى يقول انظر إلى سر ما وقع من هجرته عليه الصلاة والسلام إلى المدينة وإقامته بها حتى انتقل الى ربه عز وجل وذلك أن حكمة المولى سبحانه وتعالى قد مضت على أنه عليه الصلاة والسلام تتشرف الأشياء به لا هو يتشرف بها فلو بقى عليه الصلاة والسلام فى مكة إلى انتقاله إلى ربه تعالى لكان يتوهم أنه قد تشرف بمكة إذ أن شرفها قد سبق بآدم والخليل وإسماعيل عليهم الصلاة والسلام فلما أن أراد الله تعالى أن يبين لعباده أنه عليه الصلاة والسلام أفضل المخلوقات كان ما تقدم ذكره من هجرته عليه الصلاة والسلام إلى المدينة فتشرفت المدينه به ألا ترى إلى ما وقع من الإجماع على أن أفضل البقاع الموضع الذى ضم أعضاءه

الكريمة صلوات الله عليه وسلامه وانظر إلى الأشياء التى باشرها عليه الصلاة والسلام تجدها أبداً تتشرف بحسب مباشرته لها وبقدر ذاك يكون التشريف . ألا ترى أنه عليه الصلاة والسلام قال فى المدينة : (ترابها شفاء) وما ذاك إلا لتردده عليه الصلاة والسلام بتلك الخطى الكريمة فى أرجائها لعيادة مريض أو إغاثة ملهوف أو غير ذلك ولما أن كان مشيه صلى الله عليه وسلم فى مسجده بالمدينة أكثر من تردده فى غيره من المدينة عظم شرفه بذلك فكانت الصلاة فيه بألف صلاة ولما أن كان تردده عليه الصلاة والسلام بين بيته ومنبره أكثر من تردده فى المسجد كانت تلك البقعة الشريفة بنفسها روضة من رياض الجنة قال عليه الصلاة والسلام (مابين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة) وفى تأويل ذلك قولان للعلماء أحدهما أن العمل فيها يحصل لصاحبه روضة فى الجنة والثانى أنها بنفسها تنقل إلى الجنة وهذا هو الصحيح ثم نرجع الى ما كنا بسبيله من زيارة القبور فى ما ذكر من الآداب وهو فى زيارة العلماء والصلحاء ومن يتبرك بهم وأما عظيم جناب الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فيأتى إليهم الزائر ويتعين عليه قصدهم من الأماكن البعيدة فإذا جاء إليهم فليتصف بالذل والانكسار والمسكنة والفقر والفاقة والحاجة والاضطرار والخضوع ويحضر قلبه وخاطره إليهم وإلى مشاهدتهم بعين قلبه لا بعين بصره لأنهم لا يبلون ولا يتغيرون ثم يثنى على الله تعالى بما هو أهله ثم يصلى عليهم ويترضى عن أصحابهم ثم يترحم على التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ثم يتوسل إلى الله تعالى بهم فى قضاء مآربه ومغفرة ذنوبه ويستغيث

بهم ويطلب حوائجه منهم ويجزم بالإجابة ببركتهم ويقوى حسن ظنه في ذلك فانهم باب الله المفتوح وجرت سنته سبحانه وتعالى فى قضاء الحوائج على أيديهم وبسببهم ومن عجز عن الوصول إليهم فليرسل بالسلام عليهم ويذكر ما يحتاج إليه من حوائجه ومغفرة ذنوبه وستر عيوبه إلى غير ذلك فانهم السادة الكرام والكرام لا يردون من سألهم ولا من توسل بهم ولا من قصدهم ولا من لجأ إليهم . هذا الكلام فى زيارة الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام عموما

﴿ فصل ﴾ وأما فى زيارة سيد الأولين والاخرين صلوات الله عليه وسلامه فكل ما ذكر يزيد عليه أضعافه أعنى فى الانكسار والذل والمسكنة لأنه الشافع المشفع الذى لا ترد شفاعته ولا يخيب من قصده ولا من نزل بساحته ولا من استعانه أو استغاث به إذ أنه عليه الصلاة والسلام قطب دائرة الكمال وعروس المملكة قال الله تعالى فى كتابه العزيز (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) قال علماؤنا رحمة الله تعالى عليهم رأى صورته عليه الصلاة والسلام فاذا هو عروس المملكة فمن توسل به أو استغاث به أو طلب حوائجه منه فلا يرد ولا يخيب لما شهدت به المعاينة والآثار ويحتاج إلى الأدب الكلى فى زيارته عليه الصلاة والسلام وقد قال علماؤنا رحمة الله عليهم أن الزائر يشعر نفسه بأنه واقف بين يديه عليه الصلاة والسلام كما هو فى حياته إذ لا فرق بين موته وحياته أعنى فى مشاهدته لأمته ومعرفته بأحـــوالهم ونياتهم وعزائمهم وخواطرهم وذلك عنده جلى لا خفاء فيه فان قال القائل هذه الصفات مختصة بالمولى سبحانه وتعالى ﴿ فالجواب ﴾ أن كل من انتقل إلى

الاخرة من المؤمنين فهم يعلمون أحوال الأحياء غالبا وقد وقع ذلك في الكثرة بحيث المنتهى من حكايات وقعت منهم ويحتمل أن يكون علمهم بذلك حين عرضوا أعمال الأحياء عليهم ويحتمل غير ذلك وهذه أشياء مغيبة عنا وقد أخبر الصادق عليه الصلاة والسلام بعرض الأعمال عليهم فلا بد من وقوع ذلك والكيفية فيه غير معلومة والله أعلم بها وكفى فى هذا بيانا قوله عليه الصلاة والسلام (اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله عز وجل) رواه الترمذي ونور الله لا يحجبه شيء هذا في حق الأحياء من المؤمنين فكيف من كان منهم في الدار الآخرة وقد قال الشيخ الإمام أبو عبد الله القرطبي في (تذكرته) ما هذا لفظه روى ابن المبارك أخبرنا رجل من الأنصار عن المنهال ابن عمرو حدثنا أنه سمع سعيد بن المسيب يقول ليس من يوم إلا وتعرض على النبي صلى الله عليه وسلم أعمال أمته غدوة وعشية فيعرفهم بسيماهم وأعمالهم فلذلك يشهد عليهم قال الله تعالى (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً) قال وقد تقدم أن الأعمال تعرض على الله تبارك وتعالى يوم الخميس ويوم الاثنين وعلى الأنبياء والآباء والأمهات يوم الجمعة ولا تعارض فإنه يحتمل أن يختص نبينا عليه الصلاة والسلام بالعرض كل يوم ويوم الجمعة مع الأنبياء انتهى . فالتوسل به عليه الصلاة والسلام هو محل حط أحمال الأوزار وأثقال الذنوب والخطايا لأن بركة شفاعته عليه الصلاة والسلام وعظمها عند ربه لا يتعاظمها ذنب إذ أنها أعظم من الجميع فليستبشر من زاره ويلجأ إلى الله تعالى بشفاعة نبيه عليه الصلاة والسلام من لم يزره اللهم لا تحرمنا

من شفاعته بحرمته عندك آمين يا رب العالمين ، ومن اعتقد خلاف هذا فهو المحروم ألم يسمع قول الله عز وجل (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما) فمن جاءه ووقف ببابه وتوسل به وجد الله تواباً رحيما لأن الله عز وجل منزه عن خلف الميعاد وقد وعد سبحانه وتعالى بالتوبة لمن جاءه ووقف ببابه وسأله واستغفر ربه فهذا لا يشك فيه ولا يرتاب إلا جاحد للدين معاند لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم نعوذ بالله من الحرمان وقد جاء بعضهم إلى زيارته صلى الله عليه وسلم فلم يدخل المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام بل زار من خارجها أدباً منه رحمه الله تعالى مع نبيه صلى الله عليه وسلم فقيل له ألا تدخل فقال أمثلي يدخل بلد سيد الكونين لا أجد نفسي تقدر على ذلك أو كما قال وقد قال الإمام مالك رحمه الله تعالى لرسول الخليفة لما أن أتى إليه بالبغلة ليركبها حتى يأتي إليه لعذره في كونه لا يقدر على المشي لأنه قد كان انخلعت يداه وركبتاه من الضرب الذي قد وقع به رضي الله تعالى عنه في الحكاية المشهورة عنه فأبى أن يركب وقال موضع وطئه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأقدامه الكريمة ما كان لي أن أطأه بحافر بغلة ومشى إليه متكئا على رجلين يجر رجليه حتى بلغ إلى الخليفة في خارج المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام وجرى له معه ما جرى ، وقد قال الإمام مالك رحمه الله تعالى للخليفة أبي جعفر المنصور لما أن سأله إذ دخل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم هل يتوجه إلى النبي صلى الله عليه وسلم أو إلى القبلة فقال الإمام مالك رضي الله تعالى عنه وكيف تصرف وجهك عنه وهو

وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه الصلاة والسلام[1] قال القاضى أبو الفضل عياض رحمه الله تعالى فى كتاب الشفاء له : وزيارة قبره

(١) اختصر المصنف رحمه الله تعالى هذا الفصل وحذف إسناده ونصه كما فى الشفاء قال القاضى أبو الفضل عياض رحمه الله تعالى فصل واعلم أن حرمة النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته وتوقيره وتعظيمه لازم كما كان حال حياته وذلك عند ذكره صلى الله عليه وسلم وذكر حديثه وسنته وسماع اسمه وسيرته ومعاملة آله وعترته وتعظيم أهل بيته وصحابته قال أبو ابراهيم التجيبي واجب على كل مؤمن متى ذكره أو ذكر عنده أن يخضع ويخشع ويتوقر ويسكن من حركته ويأخذ فى هيبته وإجلاله ما كان يأخذ به نفسه لو كان بين يديه ويتأدب بما أدبنا الله به وهذه كانت سيرة سلفنا الصالح وأئمتنا الماضين رضى الله عنهم حدثنا القاضى أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الأشعرى وأبو القاسم أحمد بن بقي الحاكم وغير واحد فيما أجازونيه قالوا أخبرنا أبو العباس أحمد بن عمر بن دلهات قال حدثنا أبو الحسن على بن فهر حدثنا أبو بكر محمد ابن احمد بن فرج حدثنا أبو الحسن عبد الله بن منتاب حدثنا يعقوب بن اسحاق بن أبى اسرائيل حدثنا ابن حميد قال ناظر أبو جعفر أمير المؤمنين الامام مالكا رضى الله تعالى عنه فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له الامام مالك يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك فى هذا المسجد فان الله تعالى أدب قوما فقال (لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون) ومدح قوما فقال (إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة واجر وعظيم) وذم قوما فقال (ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون)

وإن حرمته ميتا كحرمته حياً فاستكان لها أبو جعفر وقال يا اباعبد الله استقبل القبلة وادعو أم استقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة ابيك آدم عليه السلام إلى الله تعالى يوم القيامة بل استقبله واستشفع به فيشفعك الله تعالى قال الله تعالى (ولو انهم إذ ظلموا انفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما) (مصححه عفى الله تعالى عنه)

صلى الله عليه وسلم سنة من سنن المسلمين مجمع عليها وفضيلة مرغب فيها روى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال النبى صلى الله عليه وسلم : (من زار قبرى وجبت له شفاعتى) وعن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من زارنى فى المدينة محتسبا كان فى جوارى وكنت له شفيعاً يوم القيامة) وفى حديث آخر (من زارنى بعد موتى فكأنما زارنى فى حياتى) قال اسحاق بن ابراهيم الفقيه رحمه الله تعالى ومما لم يزل من شأن من حج المرور بالمدينة والقصد إلى الصلاة فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم والتبرك برؤية روضته وموضع منبره وقبره ومجلسه وملامس يديه ومواطىء قدميه وموضع العمود الذى يستند إليه وينزل جبريل عليه السلام بالوحى فيه عليه وبمن عمره وقصده من الصحابة وأئمة المسلمين والاعتبار بذلك كله وقال الشيخ الإمام ابن أبى زيد رحمه الله تعالى سمعت بعض من أدركته يقول بلغنا أن من وقف عند قبر النبى صلى الله عليه وسلم فتلا هذه الاية : (إن الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) ثم قال (صلى الله عليك يا محمد) يقولها سبعين مرة ناداه ملك صلى الله عليك يا فلان ولم تسقط له حاجة وعن زيد بن أبى سعيد المهدى قال قدمت على عمر بن العزيز رحمه الله تعالى فلما ودعته قال لى إليك حاجة إذا أتيت المدينة سترى قبر النبى صلى الله عليه وسلم فأقرئه منى السلام . قال غيره وكان يبرد إليه البريد من الشام قال الإمام مالك رحمه الله تعالى فى رواية ابن وهب إذا سلم على النبى صلى الله عليه وسلم ووقف ودعا يقف ووجهه إلى القبر لا إلى القبلة ويدنو ويسلم عليه ولا يمس القبر

بيده وقال نافع كان ابن عمر يسلم على القبر رأيته مائة مرة وأكثر ما يفعل يجيء إلى القبر فيقول السلام على النبي صلى الله عليه وسلم السلام على أبي بكر السلام على أبي حفص ثم ينصرف وقال ابن حبيب ويقول إذا دخل مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام بسم الله وسلام على رسول الله عليه الصلاة والسلام السلام علينا من ربنا وصلى الله وملائكته على محمد اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك وجنتك واحفظني من الشيطان الرجيم ثم اقصد إلى الروضة وهي ما بين القبر والمنبر فاركع فيها ركعتين قبل وقوفك بالقبر تحمد الله فيهما وتسأله تمام ما خرجت إليه والعون عليه وإن كانت ركعتاك في غير الروضة أجزأتك وفي الروضة أفضل ثم تقف بالقبر متواضعاً متوقراً فتصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وتثني عليه بما يحضرك وتسلم على أبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما وتدعو لهما قال الإمام مالك في كتاب محمد يسلم على النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل وخرج قال محمد وإذا خرج جعل آخر عهده الوقوف بالقبر وكذلك من خرج مسافراً وقال الإمام مالك في (المبسوط) وليس يلزم من دخل المسجد وخرج منه من أهل المدينة الوقوف بالقبر الشريف وإنما ذلك للغرباء فقيل له إن ناساً من أهل المدينة لا يقدمون من سفر ولا يريدونه إلا يفعلون ذلك في اليوم مرة أو أكثر فيسلمون ويدعون ساعة فقال لم يبلغني هذا من أحد من أهل الفقه ببلدنا يعني المدينة ولا يصلح آخر هذه الامة إلا ما أصلح أولها ولم يبلغني عن أول هذه الامة وصدرها أنهم كانوا يفعلون ذلك ويكره ذلك إلا لمن جاء من سفر أو أراده قال ابن القاسم

رحمه الله تعالى ورأيت أهل المدينة إذا خرجوا منها أو دخلوها أتوا القبر فسلموا قال وذلك رأى[1] قال الإمام الباجى رحمه الله تعالى ففرق بين أهل المدينة والغرباء لأن الغرباء قاصدون إلى ذلك وأهل المدينة مقيمون بها لم يقصدوها من أجل القبر والتسليم وفى العتبية يبدأ بالصلاة قبل السلام فى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم ومن كتاب أحمد بن سعيد الهندى ومن وقف بالقبر الشريف لا يلتصق به ولا يمسه ولا يقف عنده طويلا يعنى بالوقوف طويلا أن الحجرة الشريفة داخل المقصورة فاذا وقف طويلا ضيق على غيره وأما لو وقف خارج الدرابيز فذلك الموضع فى المسجد فلا يمنع منه لأن له فيـــه حق الصلاة وانتظارها والاعتكاف وغير ذلك وينبغى له ألا يدخل من داخل الدرابيز التى هناك لأن المكان محل احترام وتعظيم فينبه العالم غيره على ذلك ويحذرهم من تلك البدع التى أحدثت هناك فترى من لا علم عنده يطوف بالقبر الشريف كما يطوف بالكعبة الحرام ويتمسح به ويقبله ويلقون عليه مناديلهم وثيابهم يقصدون به التبرك وذلك كله من البدع لأن التبرك إنما يكون بالاتباع له عليه الصلاة والسلام .

اللهم بجاه نبيك المصطفى ورسولك المرتضى طهر قلوبنا من كل وصف يباعدنا عن مشاهدتك ومحبتك وأمتنا على السنة والجماعة والشوق إلى لقائك يا ذا الجلال والإكرام سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

---

(١) اى وليس بسنة .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمــد لله رب العالمين الهادى إلى الصراط المستقيم والصلاة والسلام على نبينا الكريم سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وحزبه القويم .

وبعــد فهــذه نبذة فى التوسل مما كتبه الأستاذ الجليل أبو بكر عبد الرحمن مخيون على قصيدته العلوية فى مناقب أبى تراب أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه وكرم الله وجهه ألحقناها برسالة (تعريف الأنام بالتوسل بالنبى وزيارته عليه الصلاة والسلام) لمناسبة بينهما فى التوسل وسميتها : ﴿ سهام الموحدين فى حناجر المارقين ﴾ والله الهادى المضلين إلى الصراط المستقيم .

قال الأستاذ أبو بكر عبد الرحمن مخيون حفظه الله تعالى فى تعليقه على قوله :

﴿ وذا الفاروق بالعباس يدعو فيسقى بالتوسل هاميات ﴾
(صحيفة ١٤) من كتاب القصيدة العلوية .

﴿ الكلام على التوسل ﴾

روى الامام البخارى فى صحيحه فى كتاب الاستسقاء ٢ : ٧٥ طبعة الدمشق عن أنس أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان إذا قحطوا استسقى بالعباس ابن عبد المطلب فقال اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا قال فيسقون » . نقل الشيخ الكوثرى فى محق التقول ص٣ عن الاستيعاب لابن عبد البر أن عمر الفاروق رضى الله عنه قال بعد أن توسل بالعباس رضى الله عنه فى الاستسقاء (هذا والله الوسيلة إلى الله عز وجل) وروى الامام أبو داود فى السنة والترمذى فى العلم بباب الأخذ بالسنة وابن ماجة فى السنة

عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بعد صلاة الغداة موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال رجل إن هذه موعظة مودع فاذا تعهد إلينا يارسول الله ؟ قال (أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبد حبشي فانه من يعش منكم يرى اختلافا كثيرا واياكم ومحدثات الامور فانها ضلالة فمن أدرك ذلك منكم فعليه بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ) قال الترمذي واللفظ له هذا حديث حسن صحيح : وروى أحمد والترمذي في المناقب وابن ماجه عن حذيفة (اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر . فالتوسل مندوب عند أهل السنة والجماعة يحرمه الخوارج على الأمة . في صحيح البخاري ٩ : ٢٩ كان ابن عمر يراهم أي الخوارج شرار خلق الله قال : إنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين .

ومن دأب الخوارج الغلو في الدين لمآرب واتباعا لهوى وقد كفروا الصحابة الذين نزل القرآن بمدحهم رضوان الله عليهم وقتلوا منهم واستحلوا ما حرم الله اعتماداً على تأويلاتهم فيما لم يحيطوا بعلمه . وخلفهم ابتدعوا بدعة تحريم التوسل فيكفرون الأمة ويخرقون إجماعها مدعين أن من توسل فقد كفر وقد تستهوى دعايتهم ببريقها الذي يضفيه إدعاؤها أنها للتوحيد الخالص أو تجريده حتى خدع بها فريق ممن ينسب لأهل العلم . وتبيينا لاستحباب التوسل ولئلا يغتر بهم أحد نذكر هذه الأدلة باختصار ومن يرد التوسع فعليه بالكتب الآتية (١) شفاء السقام في زيارة خير الانام للامام شيخ الاسلام تقي الدين أبي الحسن علي بن عبد الكافي السبكي . (٢) وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى صلى الله عليه وسلم تأليف الامام شيخ الاسلام السيد الشريف نور الدين علي بن احمد السمهودي المتوفى سنة ٩١١ (٣) سعادة الدارين في الرد على الفرقتين للشيخ العلامة ابراهيم السمنودي وهو أوسعها . (٤) محق التقول في مسألة التوسل لشيخ الاسلام الاستاذ زاهد الكوثري أمتع الله به ونفع المسلمين وهي رسالة لطيفة . (٥) مصباح الظلام في المستغيثين بخير الانام للحافظ محمد بن موسى النعمان ـ ففي هذه الكتب الثمينة

الرد بتوسع على منكرى ما أحل الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم. هؤلاء أئمة السنة والجماعة هل كفروا مسلما من مخالفيهم؟ أم قسروا على مذهبهم ولو بالسيف؟ أراد الرشيد حمل الناس على موطأ الامام مالك فنهاه رحمه الله عن ذلك لأن الصحابة اختلفوا فى الفروع وتفرقوا وكل عند نفسه مصيب روى ذلك أبو نعيم فى الحلية فى ترجمة الامام مالك ٦ : ٣٣٢ . أما أئمة البدع فقد خدعوا بعض الخلفاء حتى صب سوط عذابه على الأمة وعلمائها الاتباع مذهبهم الفاسد فى فتنة القول بخلق القرآن واستحلوا ما حرم الله . والشريعة الغراء عند أئمة الحق أوسع من أن يحيط بها أو يتحكم فى تأويلها بشر إلا من أنزلت عليه صلوات الله وسلامه عليه ومن أسسها ألا تحليل أو تحريم إلا بأمر الله تعالى سواء كان قرآنا أم سنة والمتبع قول من حرم ما أحل الله فقد اتخذه ربا من دون الله يشهد بذلك ما روى الترمذى فى التفسير عن عدى بن حاتم قال أتيت النبى صلى الله عليه وسلم وفى عنقى صليب من ذهب فقال يا عدى اطرح عنك هذا الوثن وسمعته يقرأ فى سورة براءة (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) قال أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه وإذا حرموا عليهم شيئا حرموه . فمن أين لمحرم التوسل دليله ؟ وقد أرانا سيدنا عمر رضى الله تعالى عنه أن التوسل مندوب حلال فهل الفاروق ضال بتوسله بالعباس عم النبى صلى الله عليه وسلم؟ لما رأوا أنهم إذا أنكروا ذلك اتهموا بالمروق من الشريعة قالوا نحرم التوسل بالاموات لأن عمر توسل بالعباس وهو حى وكان الرسول صلى الله عليه وسلم وقتذاك فى الرفيق الأعلى : أفالرسول صلى الله عليه وسلم أقل من الشهيد الحى المرزوق بنص القرآن؟ وإنما سن لنا عمر رضى الله عنه التوسل بغيره صلى الله عليه وسلم وهو يعلم أن مقام الرسالة أعلى من مقام الشهادة بما لا يعلمه إلا الله تعالى وأن الرسول صلوات الله وسلامه عليه منحه الله أسنى المقامات وله الوسيلة أعلى درجة ، دع أن العباس رضى الله تعالى عنه على علو مقامه لم يكن أفضل من غيره بل هناك من كان

بفضله حال التوسل كعمر نفسه ولكن تبيين السنة واجب . أم يظنون أن الأموات هلكوا وتلاشوا وصاروا عدما محضاً؟ اللهم إن المسلم يعتقد فى الأموات عقيدة الكتاب والسنة فنهم الشهداء الأحياء يرزقون (وعنديتهم للتكريم كما أفهمت أحدهم لاننا نحن أيضاً عنده وملكه وكذا كل الأرض والملك والخلق) والأولياء لهم البشرى فى الدنيا والآخرة . ومن الأموات المعذبون فى قبورهم والمنعمون الذين لهم ما يشاءون واتل قوله تعالى « قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور » (١٣ الممتحنة) المسلم لم ييأس ولن ييأس من أصحاب القبور بفضل الله أبداً المسلم يعامل الميت معاملة الحى ويرى له حرمته كحياته فيسلم عنه ويناجيه ويحترم جدثه فلا يجلس عليه فى الحديث الشريف (كسر عظم الميت ككسر عظم الحى فى الاثم) رواه ابن ماجة وآخر روى أحمد وأبو داود وابن ماجة وابن حبان كسر عظم الميت ككسره حياً وروى الامام أحمد فى مسنده عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن أعمالكم تعرض على أقاربكم وعشائركم من الأموات فان كان خيراً استبشروا وإن كان بغير ذلك قالوا اللهم لا تمتهم حتى تهديهم كما هديتنا ـ وروى ابن أبي شيبة بإسناده عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تفضحوا أمواتكم بسيئات أعمالكم فإنها تعرض على أوليائكم من أهل القبور وورد فى سنن أبي داود أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ما من رجل يمر بقبر أخيه كان يعرفه فى الدنيا فسلم إلا رد الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام وفى سنن أبي داود من حديث أبي هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال (لأن يجلس احدكم على جمرة فتحرق ثيابه فتخلص إلى جلده خير له من أن يجلس على قبر) رواه مسلم وأبو داود والنسائى ورأى النبى صلى الله عليه وسلم رجلا جالساً على قبر فقال (يا صاحب القبر أنزل من على القبر لا تؤذى صاحب القبر ولا يؤذيك) رواه الطبرانى فى الكبير والمؤمنون فى الآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا من الدنيا ومن دعايتهم الخبيثة أننا لا ندرى علام مات الميت وقد أفهمنا الله سبحانه منازل الناس فى الآخرة بأعمالهم الدنيوية الظاهرة قال تعالى فى التوبة (ما كان للنبي والذين آمنوا

أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم (١١٣) . والانسان يعمل لما يسر له كما فى الحديث الشريف فمن مات على عمل الجنة وشهدت له الأمة كيف يسوغ أن نشك فيما ختم الله تعالى له ؟ أليس الله الأكرم ؟ الذى فى الجنة له فيها ما يشاء ألا يشاء الاطلاع على أحبابه فى الدنيا ؟ أليس عليه أن يدعو وعلى الله الاجابة والله الفعال لما يريد القدير على كل شىء ؟ (فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم) هذا فور حكايته سبحانه نزع الروح . ثم ادعوا أنهم يسدون الذريعة ويخشون عبادة القبور وتلوا الآيات الكريمة التى نزلت فى المشركين المتخذين غير الله آلهة وجعلوا له أندادا وطبقوها على المسلمين . لم إن صح كلامهم لم يسدوا ذريعة استهزائهم بالأولياء وشتمهم وقذفهم وجهلهم مقام النبوة والرسالة وتعديهم بالظلم على المسلمين أحياء وأمواتا ـ إن منهم من يصف النبى ﷺ بأوصاف أقل أحكام الشريعة عليه أنه كافر بتلفظها كقول بعض سفلتهم إن عصاه أنفع له من النبى الميت قاتلهم الله ـ لم لم يسدوا ذريعة اخلالهم بمقام الرسالة فى قلب كل مسلم ؟ ألم يبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ أهناك مسلم يعبد حجرا أو شجرا أو ملكا أو نبيا أو وليا من دون الله تعالى ؟ ألم يبين محمد سيد الخليقة رسول رب العالمين ألم يؤد ؟ ألم ينصح ؟ ياهؤلاء عقيدة المسلمين أن الله تعالى ليس له شريك وما يملك غيره من قطمير . والتسبب بكل أمر مباح مادمت تعتقد أن خالق كل شىء هو الله تعالى الاحد الذى يعلم السر وأخفى ويعلم ما يسرون وما يعلنون أغنى الأغنياء عن الشرك وهو غنى عن الدعاء أليس قادرا أن يعطى بغير الدعاء ؟ فلم طلبه إذن من عباده ؟ ويعتقد المسلم أنه تعالى يملك السمع والابصار والالفاظ وأنه تعالى كما قال (وله كل شىء) وأنه أقرب إلينا من أنفسنا وأنه لا حول ولا قوة إلا به سبحانه . بل إننا وكل شىء به سبحانه وهو قائم على كل نفس وأن لا احد يملك نفعا ولا ضرا إلا الله وحده لا شريك له إلا ما شاء الله . هذا بعض ما يعتقده المسلمون من القرآن والسنة فمن أخل بشىء من ذلك فليس بمسلم . والآيات التى نزلت فى الدعاء من دون الله

خاصة بالمشركين الذين اعتقدوا الألوهية فى غير الله تعالى وأنهم له شركاء وأنداد تعالى عما يقولون علوا كبيرا ـ وأن لهم معه شىء من النفوذ سبحانه وتعالى لذلك تجد فيها النص على أن دعاءهم من دون الله تعالى والمسلم لا يدعو من دون الله أبدا . أيظن مبيح التوسل بالأحياء أن لهم مع الله تعالى تأثيراً وأنهم إذا ماتوا انقطع التأثير ؟ إن هذا لشىء عجاب . قال العلامة المحقق السمهودى فى سعادة الدارين فى الرد على الفرقتين ١ : ٢٣٠ ما محصله (يحمل على المجاز العقلى ما دل على إضافة التأثير للأسباب نحو قول القائل هذا الطعام أشبعنى فالطعام لا يشبع حقيقة بل المشبع حقيقة الله وحده لا شريك له والطعام سبب عادى للشبع لا تأثير له فاسناد الشبع له مجاز عقلى . فالموحد المسلم متى صدر منه اسناد لغير من هو له يجب حمله على المجاز العقلى والاسلام والتوحيد قرينة على ذلك المجاز العقلى المستعمل فى الكتاب والسنة وكلام العرب . ففى القرآن (يوما يجعل الولدان شيبا) (وقد أضلوا كثيرا) (وأخرجت الأرض أثقالها) ولم يختص بالخبر بل يكون فى الانشاء كقوله تعالى حكاية عن فرعون (ياهامان ابن لى صرحا) فاسناد البناء لهامان مجاز عقلى لأنه سبب آمر ولا يبنى بنفسه ومن كلام العرب أنبت الربيع البقل فاذا قال العامى من المسلمين انفعنى أو أغثنى أو أجرنى أو أدركنى يارسول الله مثلا أو قال نفعنى النبى صلى الله عليه وسلم أو أغاثنى أو نحو ذلك فانما يريد الاسناد المجازى قطعاً والقرينة على ذلك معنوية وهى حال ذلك القائل أى أنه مسلم موحد لا يعتقد التأثير إلا لله تعالى وحده فجعلهم ذلك وأمثاله من الشرك جهل محض وتلبيس على عوام المسلمين الموحدين . وأما هؤلاء الجهلة الذين فرقوا بين الأحياء والأموات وقالوا إن الحى يقدر على الأشياء دون الميت وأنه إذا نودى الحى وطلب منه ما يقدر عليه وهو الأشياء العادية فلا ضرر فيه بخلاف الميت فانه لعدم قدرته على شىء أصلا لا يجوز نداؤه ولا طلب شىء منه فهم بذلك الكلام يتوهم منهم أنهم يعتقدون أن العبد يخلق أفعال نفسه فينسبون التأثير للأحياء دون الأموات وقد تقرر

قديما وحديثا أن هذا مذهب باطل . ونحن أهل السنة نقول ونعتقد أن الحي لا يقدر على إيجاد شيء اصلا كما أن الميت كذلك لا يقدر والقادر حقيقة هو الله تعالى والعبد ليس له إلا الكسب الظاهرى المعلوم باعتبار الحي والكسب الباطني باعتبار التبرك بذكر اسم النبي صلى الله عليه وسلم وغيره من الاخيار أو تشفعهم أو تسببهم فى ذلك الشيء. والخالق للعباد وأفعالهم هو الله تعالى وحده لا شريك له قال الله تعالى (الله خالق كل شيء) (والله خلقكم وما تعملون) وقد يكرم الله المتقين من عباده بخرق العادة لهم أو لاجلهم إن شاء لانه الفاعل المختار . فالفارقون بين الأحياء والاموات فيما ذكروا هم المعتقدون تأثير غير الله تعالى وهم الذين دخل الشرك فى توحيدهم لكونهم اعتقدوا تأثيرا للأحياء دون الأموات . فكيف يدعون مع هذا أنهم محافظون على التوحيد وينسبون غيرهم إلى الاشراك ؟ اه باختصار .

فليس مسلما من ظن أو اشتبه أن لله تعالى شريكا أو دعا أيا من دون الله ظانا أن له تأثيرا مع الله تعالى اقرأ الحديث الشريف الذى رواه الشيخان وأصحاب السنن الاربع عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فاذا قالوها منعوا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله) وأخرج البخارى فى العلم ومسلم فى الايمان عن أنس رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم راكبا ومعاذ رديفه على الرحل فقال يامعاذ قال لبيك يارسول الله وسعديك قال يامعاذ قال لبيك يارسول الله وسعديك قال يامعاذ قال لبيك يارسول الله وسعديك قال مامن عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله إلا حرمه الله على النار قال يارسول الله ألا أخبر بها الناس؟ قال إذا يتكلوا . فأخبر بها معاذ عند موته تأثما . وروى البخارى فى الصلاة وأبو داود فى الجهاد والترمذى والنسائى فى الايمان عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وأن يستقبلوا

قبلتنا ويأكلوا ذبيحتنا وأن يصلوا صلاتنا فاذا فعلوا ذلك حرمت علينا دماؤهم وأموالهم إلا بحقها . لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين) أليس ذلك بكاف ؟ ثم قوله صلى الله عليه وسلم فى حديث رواه الترمذى فى الايمان عن أبى هريرة رضى الله عنه وقال حسن صحيح (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم) وروى الترمذى وقال حسن صحيح عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (سباب المسلم فسوق وقتاله كفر) . وروى البخارى فى صحيحه عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذاكم المسلم الذى له ذمة الله وذمة رسوله فلا تخفروا الله فى ذمته) فهل سلم المسلمون من ألسنة وأيدى هؤلاء الخوارج ؟ بل هل سلم الصالحون من أولياء الامة منهم ؟ إن أقل أذى منهم للأمة نبزهم أهل السنة والجماعة أنهم قبوريون تشنيعا وزراية واتخذوهم هزوا مع أنهم تيقنوا أنهم لم يقصدوا الاحجار والاجداث وإنما قصدوا ساكنيها . وفى وفاء الوفاء للسمهودى روى الامام أحمد بسند حسن عن داود بن أبى صالح قال : أقبل مروان يوما فوجد رجلا واضعا وجهه على القبر (النبوى الشريف) فأخذ مروان برقبته ثم قال هل تدرى ما تصنع ؟ فأقبل عليه فاذا هو أبو أيوب الأنصارى رضى الله عنه فقال نعم إنى لم آت الحجر إنما جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم آت الحجر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا تبكوا على الدين إذا وليه أهله ولكن ابكوا على الدين إذا وليه غير أهله . قال الهيثمى رواه أحمد والطبرانى فى الكبير والأوسط وفيه كثير بن زيد وثقه جماعة وضعفه النسائى وغيره ووصفه فى التقريب أنه صدوق يخطىء . ووثقه السبكى اه باختصار . وأبو أيوب رضى الله عنه من كبار الصحابة الذين يصح أن يقال عنهم أهل الدين وما مروان بجنبه إلا الاشمعة بالقياس للشمس والله عفو . ماذا يقصدون بدعواهم ؟ أنقاطع أولياءنا وعلماءنا ونجفوهم ولا نزور قبورهم سدا للذرائع كما يدعون ؟ وما

قولهم فى الحديث الذى رواه الشيخ ابن حجر الهيتمى فى الزواجر ١ : ٣٣ عن الامام أحمد والطبرانى والحاكم وأبو نعيم والبيهقى (أتخوف على أمتى الشرك والشهوة الخفية . قيل يا رسول الله أتشرك أمتك من بعدك ؟ قال نعم . أما إنهم لا يعبدون شمسا ولا قمرا ولا حجرا ولا وثنا ولكن يراءون الناس بأعمالهم . والشهوة الخفية : أن يصبح أحدهم صائما فتعرض له شهوة من شهواته فيترك صومه) . فهذا الحديث يشهد بضلال من يتهم أحدا من من الأمة المحمدية خير أمة أخرجت للناس بعبادة الأوثان فرامى الأمة بذلك مستهزىء فانه يستحيل على من دخل الاسلام قلبه وشهد أن لا إله إلا الله أن يعبد غير الله تعالى استحالة مطلقة بفضل الله تعالى . أرأيتم مسلما ارتد بغضة لدينه قط بعد ما فقهه . انظر إلى استفهام الصحابة الانكارى فى الحديث . وكم من حديث يوافقه فى الصحيح لمسلم فى صفة القيامة عن جابر قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول (إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون فى جزيرة العرب ولكن فى التحريش بينهم) ولم يكن مسلم يصلى وقتذاك إلا فى الجزيرة . وهم بحمد الله تعالى ملء بقاع الأرض الآن . فهذه نصوص قاطعة على أن المسلم لا يمكن أبدا أن يعبد غير الله تعالى كيف والقرآن العظيم هاديه والسنة المطهرة تحوطه .

(القرآن العظيم) يبيح التوسل لقوله تعالى فى المائدة (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة ٣٥) والوسيلة السبب والقربة أى كل ما يتقرب به وقال قوم فى الآية الامر بالتقوى للعمل والوسيلة الذوات الشريفة منعا من التكرار لأنه لو صرفنا الوسيلة للعمل كان تأكيدا لما سبق من الامر بالتقوى وإذا صرفناها للذوات الفاضلة كان تأسيسا والتأسيس خير من التوكيد وسبق ذكر العلامة الكوثرى رواية ابن عبد البر فى الاستيعاب عن ابن عمر رضى الله عنه أنه قال بعد أن استسق بالعباس وسقوا (هذا والله الوسيلة إلى الله عز وجل والمكان منه . وفى قوله تعالى حكاية عن الفراعين لما صب عليهم بلاء العذاب (ياموسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت

عنا الرجز لؤمنن لك ولنرسلن معك بنى اسرائيل ١٣٤ الاعراف) لعلمهم أنه مقبول عند الرب سبحانه ودعاؤه مجاب فلم يخطئهم موسى صلوات الله عليه وسلامه ولم يلاموا على طلبهم هذا بل استجاب الله تعالى لموسى فيهم مع علمه بهم برهان ظاهر على إباحة التوسل وقبوله . انظر اسناد القرآن العظيم الأمر لموسى مجازا بقولهم (لئن كشفت عنا الرجز) ثم بعدها قرر الحقيقة بقوله تعالى (فلما كشفنا عنهم الرجز) أليس هذا من إباحة اسناد الشيء للسبب كما أن في قوله تعالى (أما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحاً) فمن أسباب إكرام الغلامين صلاح أبيهما فهو وسيلة - مع موته - فقد حفظا اكراما له ومن التبرك بالجماد لتعلقه بالوسيلة قوله تعالى (فيه آيات بينات مقام إبراهيم) و (إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون) البقرة فلا شك أن الانسان الصالح أولى بالسكينة من التابوت بله كونه رسولا . وقميص يوسف الصديق عليه السلام وقول أبينا إبراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليه لأبيه (لأستغفرن لك وما أملك لك من الله من شيء (٤) الممتحنة) تعبر عن عقيدة المسلم الذى يلجأ لصالح ليدعو له سواء أكان حياً أو ميتاً وهو موقن أنه لايملك له من الله من شيء .

{ والحديث الشريف } توسل عمر بالعباس رضى الله عنهما وسبق ذكره وتوسل الأعمى بالنبى صلى الله عليه وسلم كما علمه صلى الله عليه وسلم وتعليم عثمان بن حنيف (بالتصغير) الرجل الذى له حاجة عند عثمان بن عفان رضى الله عنه أن يدعو بدعاء التوسل الذى علمه النبى صلى الله عليه وسلم للأعمى وشفاه الله تعالى به - أهم أفقه من ابن حنيف وأبى أيوب وبلال بن الحارث الذى نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم استسق لأمتك فى خلافة عمر فسقوا - أأعلم من الصحابة الذين ذكرنا رضوان الله عليهم الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم (أصحابى كالنجوم فبأيهم اقتديتم اهتديتم) رواه البيهقى وأسنده الديلمى عن ابن عباس بلفظ أصحابى بمنزلة النجوم فى السماء بأيهم اقتديتم اهتديتم ١ : ١٣٢ كشف الخفا للعجلونى وذكر

بالامام السمنودى رحمه الله تعالى فى سعادة الدارين ١ : ٢٩٥ مارواه ابن أبى شيبة والبيهق بإسناد صحيح كنص ابن حجر فى الفتح ٢ : ٣٣٨ عن مالك الدار وكان خازن عمر رضى الله عنه أن الناس أصابهم قحط فى خلافة عمر رضى الله عنه فجاء بلال بن الحارث رضى الله عنه وكان من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم إلى القبر الشريف وقال: يارسول الله استسق الله لامتك فانهم قد هلكوا فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام وأخبره أنهم يسقون فكان كذلك ولم ينكر صنيع بلال رضى الله عنه أحد من الصحابة وأخرج هذا الحديث البخارى فى تاريخه . وقد صدر التوسل من النبى صلى الله عليه وسلم ذكر فى سعادة الدارين ١ : ١٥٦ مارواه الطبرانى بسند جيد فى الكبير والاوسط وابن حبان والحاكم وصححاه عن أنس ابن مالك رضى الله عنه قال لما ماتت فاطمة بنت أسد بن هاشم أم على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهما وكانت ربت النبى صلى الله عليه وسلم دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس عند رأسها وقال رحمك الله ياأمى بعد أمى وذكر ثناءه عليها وتكفينها ببردة وأمر بحفر قبرها قال فلما بلغوا اللحد حفره رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وأخرج ترابه بيده فلما فرغ دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاضطجع فيه ثم قال : الله الذى يحيى ويميت وهو حى لا يموت اغفر لامى فاطمة بنت أسد ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والانبياء الذين من قبلى فانك أرحم الراحمين . وروى ابن أبى شيبة عن جابر رضى الله عنه مثل ذلك وكذا روى مثله ابن عبد البر عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ورواه أبو نعيم فى الحلية عن أنس رضى الله تعالى عنه ذكر كله الحافظ السيوطى فى جامعه الكبير وفى سعادة الدارين أيضا ١ : ١٥٧ روى البيهقى باسناد صحيح فى كتابه دلائل النبوة عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اقترف آدم عليه الصلاة والسلام الخطيئة قال رب أسألك بحق محمد إلا ماغفرت لى فقال الله تعالى يا آدم كيف عرفت محمداً ولم أخلقه (أى جسده إذ نوره صلى الله عليه وسلم خلق قبل جميع الخلق) قال يارب لانك لما خلقتنى بيدك (أى بقدرتك) ونفخت فى من روحك (أى من سرك الذى خلقته وشرفته بالاضافة إليك إذقلت ونفخت

فيه من روحي) رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً لا إله إلا الله محمد رسول الله فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا احب الخلق إليك فقال الله تعالى صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق إلي وإذ سألتني بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك . رواه أيضاً الحاكم وصححه والطبراني وزاد فيه وهو آخر الأنبياء من ذريتك - في شفاء السقام للامام السبكي ص ١٣٥ الحديث المذكور لم يقف عليه ابن تيمية بهذا الاسناد ولا بلغه أن الحاكم صححه فانه قال في قصة توسل آدم صلى الله عليه وسلم ليس لها أصل ولا نقله أحد عن النبي صلى الله عليه وسلم باسناد يصلح للاعتماد عليه ولا الاعتبار ولا الاستشهاد ثم ادعى أنه كذب باوهم والتخرص ولا بلغه أن الحاكم صححه لما قال ذلك ولتعرض للجواب عنه وكيف يحل لمسلم أن يتجاسر على منع هذا الأمر العظيم الذي لا يرده عقل ولا شرع وقد ورد فيه هذا الحديث اه . قال السمنودي المراد بالحق في هذه الأحاديث ما جعله الله تعالى على نفسه بفضله ورحمته تكرما كقوله تعالى (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) وفي صحيح البخاري (حق العباد على الله تعالى إذا أطاعوه ألا يعذبهم) لا الواجب إذ لا يجب على الله تعالى شيء اه . وقد ذكر القاضي عياض في الشفاء ٢ :٣٥ بسند صحيح عن ثقات مشايخه كما في شرح الخفاجي ٣ :٣٩٨ قال ناظر أبو جعفر أمير المؤمنين مالكا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له مالك يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد فان الله تعالى أدب قوما فقال (لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي) الآية ومدح قوما فقال (إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله) الآية وذم قوما فقال (إن الذين ينادونك) الآية وإن حرمته ميتا كحرمته حيا فاستكان لها أبو جعفر وقال يا أبا عبد الله أستقبل القبلة وأدعو أم أستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه الصلاة والسلام إلى الله تعالى يوم القيامة بل استقبله واستشفع به فيشفعه الله قال الله تعالى (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما ٦٤) النساء اه . وأظن الامام مالكا يشير إلى حديث الاستشفاع يوم القيامة الذي رواه البخاري وغيره

فى الشرح الصغير باب الجنائز للقطب الدردير مالك الصغير (وندب وقوف إمام وسط الميت الذكر وحذو منكبي غيره من أنثى أوخنثى جاعلا رأس الميت عن يمينه أي الامام إلا فى الروضة الشريفة فتجعل رأسه على يسار الامام تجاه رأس النبي صلى الله عليه وسلم وإلا لزم قلة الأدب) .

قال العلامة السمنودى فى سعادة الدارين استحب الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب المعتمدة استقبال القبر الشريف فى السلام والدعاء لا الامام مالك وحده وقد ثبت خطأ من طعن فى إجماعهم وقد روى الامام أبو حنيفة فى مسنده (الحديث السابع والثلاثون من الحج) عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال من السنة أن تأتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم من قبل القبلة وتجعل ظهرك إلى القبلة وتستقبل القبر لوجهك ثم تقول السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، قال ابن الهمام وهذا هو الصحيح من مذهب أبي حنيفة أقول لا عجب فى هذا فإن المؤمن أعظم حرمة من الكعبة . وحتى فى مجالسنا الدنيوية الأدب مع أي جليس أن يواجه ولو باستدبار القبلة فإنه أفضل . وأخرج الديلمى فى مسند الفردوس عن على رضى الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه) فقال قال اللهم إنى أسألك بحق محمد سبحانك لا إله إلا أنت . الحديث . وقد ذكر الأئمة ابن النجار وابن عساكر وابن الجوزى قصة العتبى التابعى الجليل من مشايخ الشافعى الذى كان جالساً عند قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء اعرابى فقال السلام عليك يارسول الله سمعت الله تعالى يقول : (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما) قد جئتك مستغفراً من ذنبي مستشفعاً بك إلى ربى ثم بكى وأنشد :

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه ... فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه ... فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ثم استغفر الاعرابى وانصرف فغلبتنى عيناى فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم فى النوم فقال ياعتبى الحق الأعرابى فبشره بان الله غفر له بشفاعتى فخرجت خلفه فلم أجده: ومحل الاستدلال كون العتبي وهو تابعى من خير القرون استحسن ما صنع

الأعرابي ولم ينكر عليه ونقل الحكاية من ذكرنا من الأئمة استحسانا .

وقال العلامة السمهودي في سعادة الدارين ومن الأحاديث الصحيحة التي جاء فيها التصريح بالتوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم ما رواه الترمذي وصححه وقوله إنه غريب أي باعتبار افراد طرقه ورواه النسائي والبيهقي وصححه والطبراني كلهم بإسناد صحيح لا مطعن فيه أصلا وأقره الحافظ الذهبي عن عثمان بن حنيف رضي الله عنه الصحابي المشهور أن رجلا ضرير البصر أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ادع الله لي أن يعافيني فقال إن شئت دعوت وإن شئت صبرت وهو خير قال فادعه فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويصلي ركعتين ثم يدعو بهذا الدعاء: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي وفي رواية إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي لتقضى لي اللهم فشفعه في فعاد وقد أبصر. وفي رواية قال ابن حنيف فوالله ما تفرقنا وطال بنا الحديث حتى دخل علينا الرجل كأن لم يكن به ضر قط وجاء في بعض طرقه كما ذكره ابن تيمية في الفتاوى وابن النعمان في مصباح الظلام أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للرجل الأعمى المذكور وإن كان لك حاجة فمثل ذلك . وقد خرج هذا الحديث أيضا البخاري في تاريخه وابن ماجة في الصلاة والحاكم في المستدرك بإسناد صحيح على شرط الشيخين وذكره القاضي عياض في الشفا وابن الجزري في الحصن الحصين والخطيب التبريزي في المشكاة والقسطلاني في المواهب والسمهودي في خلاصة الوفاء والهيتمي في الجوهر والنووي في الأذكار والسيوطي في الجامع الكبير والصغير وغيرهم وهذا الحديث أصح حديث في الباب فهو حجة قاصمة لظهر المانعين دامغة لدعواهم ثم قال السمهودي بعد مقدار ورقة هذا الدعاء قد استعمله الصحابة رضي الله عنهم والتابعون أيضا بعد وفاته صلى الله عليه وسلم لقضاء حوائجهم. فقد روى الترمذي والطبراني والبيهقي وقال الترمذي حسن صحيح عن عثمان بن حنيف رضي الله عنه أيضا أن رجلا كان يختلف إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه زمن خلافته في حاجته فكان لا يلتفت إليه ولا ينظر في حاجته فشكا ذلك لعثمان بن حنيف رضي الله عنه فقال له ائت الميضأة فتوضأ ثم ائت المسجد فصل ركعتين ثم قل: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبينا محمد نبي الرحمة يا محمد إني

أتوجه بك إلى ربك في حاجتي لتقضى وتذكر حاجتك فانطلق الرجل فصنع ذلك ثم أتى باب عثمان بن عفان رضي الله عنه فجاءه البواب وأخذ بيده فأدخله على عثمان رضي الله تعالى عنه فأجلسه معه على الطنفسة (مثلثة الطاء والفاء واحدة الطنافس للبسط والثياب والحصير من سعف عرضه ذراع) ثم قال له ماذكرت حاجتك حتى الساعة وما كان لك من حاجة فاذكرها ثم خرج ذلك الرجل من عنده فلقى ابن حنيف رضي الله عنه فقال له جزاك الله تعالى خيرا ما كان ينظر في حاجتي حتى كلمته لي فقال ابن حنيف رضي الله عنه والله ما كلمته ولكني شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتاه ضرير فشكى إليه ذهاب بصره إلى آخر الحديث المتقدم فهذا توسل ونداء بعد وفاته صلى الله عليه وسلم . وذكر العلامة السمهودي في خلاصة الوفاء أن من الأدلة على صحة التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته مارواه الدارمي في مسنده عن أبي الجوزاء وهو تابعي مشهور بصدق الحديث : قال قحط أهل المدينة الشريفة قحطا شديداً فشكوا إلى عائشة رضي الله تعالى عنها فقالت انظروا إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم واجعلوا منه كوة إلى السماء حتى لا يكون بين قبره صلى الله عليه وسلم وبين السماء سقف ففعلوا فمطروا امطرا كثيرا حتى نبت العشب وسمنت الابل حتى تفتقت من الشحم أي انتفخت خواصرها بسبب الرعي مسمى عام الفتق وقد ترجم الحافظ ابن الجوزي في كتاب صفوة الصفوة لهذا الأثر بقوله الباب التاسع والثلاثون في الاستسقاء بقبره صلى الله عليه وسلم . نقل السمنودي عن الهيتمي من الصواعق أن الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه توسل بأهل البيت النبوي حيث قال :

آل النبي ذريعتي — وهم إليـــه وسيلتي
أرجو بهم أعطى غدا — بيدي اليمين صحيفتي

وفي تاريخ الحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي المتوفى سنة ٤٦٣ ١ : ١٢٠ توسل شيخ الحنابلة الحسن بن ابراهيم الخلال بقبر موسى الكاظم يقول ما همني أمر فقصدت قبر موسى بن جعفر (يعني الكاظم) فتوسلت به إلا سهل الله تعالى ما أحب . وفيه ١ : ١٢٣ بسنده عن علي بن ميمون قال سمعت الامام الشافعي يقول إني لأتبرك

بالامام أبي حنيفة وأجيء إلى قبره في كل يوم فإذا عرضت لي حاجة صليت ركعتين وجئت إلى قبره وسألت الله الحاجة عنده فما تبعد حتى تقضى وذكر السمنودي ١:١٨٧ أن الهيتمي في كتابه مناقب أبي حنيفة ذكر ذلك ثم ذكر توسل الامام احمد بن حنبل بالامام الشافعي حتى تعجب ابنه وذكر البغدادي في نفس الصحيفة تبرك الناس بقبر النذور يقال إن المدفون فيه عبدالله بن محمد بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم : يتبرك الناس بزيارته ويقصده ذوالحاجة منهم لقضاء حاجته وذكر حكاية والد القاضي أبي القاسم علي بن المحسن التنوخي مع عضد الدولة في رؤية قبر النذور الذي شهر بهذا الاسم لانه مايكاد ينذر له نذر إلاصح وبلغ الناذر مايريده ولزمه الوفاء بالنذر وقد تحقق عضد الدولة وكان مكذبا بما شاهده بنفسه بإقراره ـ فهل أحد من أساتذة الخوارج مثل الخطيب البغدادي ولو كان ابن تيمية نفسه . هؤلاء علماء الأمة وهذا اعملهم من قديم قبل خلق ابن تيمية بمئات السنين فهل كانوا جهلة والخوارج هم العلماء ! قال ابن القيم في كتابه الروح ص ١٥٣ وقد تواترت الرؤيا من أصناف بني آدم على فعل الأرواح بعد موتها مالا تقدر على مثله حال اتصالها بالبدن من هزيمة الجيوش الكثيرة بالواحد والاثنين والعدد القليل ونحو ذلك وكم قد رئي النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومعه أبو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما في النوم قد هزمت أرواحهم عساكر الكفر والظلم فإذا بجيوشهم مغلوبة مكسورة مع كثرة عددهم وعددهم وضعف المؤمنين وقلتهم وروى ص ٢٨٤ عن المطلبي إمام المسجد النبوي قال رأيت بالمدينة عجبا كان رجل يسب أبا بكر وعمر رضي الله عنهما فبينا نحن يوما من الايام بعد صلاة الصبح إذ أقبل وقد خرجت عيناه وسالتا على خديه فسألناه ماقصتك؟ فقال رأيت البارحة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي بين يديه ومعه أبو بكر وعمر فقالا يارسول الله هذا الذي يؤذينا ويسبنا فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمرك بهذا ياأباقيس؟ فقلت له علي وأشرت عليه فأقبل علي علي بوجهه ويده وقد ضم أصابعه وبسط السبابة والوسطى وقصد بهما إلى عيني فقال إن كنت كذبت ففقأ الله عينيك وأدخل أصبعيه في عيني فانتبهت من نومي وأنا على هذه الحال فكان يبكي ويخبر الناس

وأعلن التوبة - وابن القيم من كبار تلاميذ ابن تيمية فهل ضل عندهم ؟ وليس الدين كله توسلا وإنما التوسل باب من أبواب الدعاء لا يعمل به في كل حين ولا يقتصر عليه أما التبرك فمن الائمة من كره المغالاة في التقبيل والتمسح والطواف بقبور الصالحين كالشيخ الغزالي وشبه ذلك بعمل أهل الكتاب ، ومنهم من أمر بالأدب المنافي لهذه الامور الغالية فالاحرى بالمسلم أن يعلم العوام الادب ولا يكفرهم ولا يحرم ما أحل الله من التبرك والتوسل . فالمسلم عند استعانته بأحد من إخوانه من الخلق حيا أو ميتا لا ينسى الله عز وعلا وأن الحول والقوة له وبه وحده وأن الامر كله لله وأن ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وأن إعانة المخلوق مجازية والمعين الحق هو الله تعالى وحده لا شريك له (قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله).

فالتوسل بالذوات والأعمال مطلوب شرعا ومندوب حلال ومحرمه مشوش أو ملبس عليه وقد جرى عمل الامة عليه وعلى زيارة القبور من قديم كما بينا وقد أطلعت في إيراد الأدلة بما لا يتحمله هذا التعليق لنفعها العام وابتغاء الثواب من الملك العلام وقانا الله تعالى كل سوء وكل ما يغضبه وبلغنا مرادنا في الدارين بصحبته لخاتم النبيين وآله وهدانا الصراط المستقيم آمين .

﴿سهام الجلالة فى أفئدة أهل الضلالة﴾

(نظم المرحوم العارف بالله تعالى الشيخ عبد الصمد أحمد الحسيني السنان تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته آمين)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

فى بدء نظمى أقول الحمد لله ٠ حمدا كثيرا يوافى نعمة الله
ثم الصلاة من الرحمن دائمة ٠ على وسيلتنا العظمى الى الله
محمد من هدينا للصواب به ٠ والآل والصحب من هم حجة الله
وفى انتصارى لأهل الحق ها أنذا ٠ أقول مستفتحا والعون بالله

إذا استغاث بأهل الله منكرب ٭ فلا يقال له أشركت بالله
وكيف يشرك عبد وهو معتقد ٭ أن لا مؤثر فى شىء سوى الله
ولا يكفر أمى بمنطقه ٭ إن أوهم النطق منه الشرك بالله
إذ الضمير سليم الاعتقاد إذا ٭ فتشته لا ترى فيه سوى الله
والعجز عن صحة التعبير مغتفر ٭ ولا يضر مع الإيمان بالله
مع أننا ما سمعنا لفظة صدرت ٭ من جاهل توهم الاشراك بالله
وإنما ذاك من إفك ابن تيمية ٭ فى بعض ما سودت يمناه والله (١)

(١) قال الشيخ الفقيه العالم الثقة النبيه الناسك الأبر أبو عبد الله محمد بن عبد الله ابن محمد بن ابراهيم اللواتى ثم الطنجى المعروف بابن بطوطة رحمه الله تعالى فى رحلته المسماة تحفة النظار فى غرائب الامصار وعجائب الأسفار : وكان بدمشق من كبار الفقهاء الحنابلة تقى الدين بن تيمية كبير الشام يتكلم فى الفنون إلا أن (فى عقله شيئا) وكان أهل دمشق يعظمونه أشد التعظيم ويعظهم على المنبر وتكلم مرة بأمر أنكره الفقهاء ورفعوه إلى الملك الناصر فامر باشخاصه الى القاهرة وجمع القضاة والفقهاء بمجلس الملك الناصر وتكلم شرف الدين الزواوى المالكى وقال ان هذا الرجل قال كذا وكذا وعدد ما أنكر على ابن تيمية وأحضر العقود بذلك ووضعها بين يدى قاضى القضاة وقال قاضى القضاة لابن تيمية ما تقول قال لا إله إلا الله فاعاد عليه فاجاب بمثل قوله فامر الملك الناصر بسجنه فسجن أعواما وصنف فى السجن كتابا فى تفسير القرآن سماه بالبحر المحيط فى نحو أربعين مجلدا ثم إن أمه تعرضت للملك الناصر وشكت اليه فامر باطلاقه إلى أن وقع منه مثل ذلك ثانية وكنت إذ ذاك بدمشق فحضرته يوم الجمعة وهو يعظ الناس على المنبر الجامع ويذكرهم فكان من جملة كلامه أن قال (إن الله ينزل الي سماء الدنيا) كنزولى هذا ونزل درجة من درج المنبر فعارضه فقيه مالكى يعرف بابن الزهراء وأنكر ما تكلم به فقامت العامة إلى هذا الفقيه وضربوه بالأيدى والنعال ضربا كثيرا حتى سقطت عمامته وظهر على رأسه شاشية حرير فانكروا عليه لباسها واحتملوه إلي دار عز الدين بن مسلم قاضى الحنابلة فامر بسجنه وعزره بعد ذلك فانكر فقهاء المالكية والشافعية ما كان من تعزيره ورفعوا الأمر إلى ملك الامراء سيف الدين تنكيز وكان من خيار الأمراء وصلحائهم فكتب إلى الملك الناصر بذلك وكتب عقدا شرعيا على ابن تيمية بامور منكرة منها ان المطلق بالثلاث فى كلمة واحدة

هذا ومن لولى قال مبتهلا • ياسيدى مددا أرجوك بالله
كمثل طالب إحسان يقول الذى • مروءة أعطنى مولاى لله
فكيف مع أنه لا فرق بينهما • لا يشركان معا فى الشرك بالله
إن كان من يسأل المخلوق عندهم • يعد متخذا ربا مع الله
هذى هى القسمة الضيزى ولا عجب • فالجهل يعمى ذويه عن هدى الله
وإن يقولوا سؤال الحى ليس به • بأس ولا يقتضى الاشراك بالله
قلنا كذاك سؤال الميت معتبر • لأن كلا بلا ريب سوى الله
والحى كالميت لا تأثير فى عمل • اليه يعزى بل التأثير لله
وغاية الأمر أن الميت ليس يرى • أعماله غير ذى حال مع الله
هذا مثال الذى يدعو الولى فقل • رغم الجهول به تغنم رضى الله
أو قل كعبد أتى عبدا يوسطه • فى حاجة عند بعض الخلق لله
وفى إجابة يعقوب بنيه لنا • على التوسط برهان من الله
وذاك حين أتوه قائلين له • أيا أبانا لنا استغفر لدى الله(١)
ومن توسل يرجو كشف كربته • أو نيل محض الرضا فضلا من الله
بالأنبياء الألى جلت مراتبهم • والقوم من أخلصوا فى طاعة الله

لا تلزمه إلا تطليقة واحدة • ومنها المسافر الذى ينوى بسفره زيارة القبر الشريف زاده الله عز وجل طيبا لا يقصر الصلاة وسوى ذلك مما يشبهه وبعث العقد إلى الملك الناصر فأمر بسجن ابن تيمية بالقلعة فسجن بها حتى مات فى السجن

(١) يشير المصنف رحمه الله تعالى إلى قوله تبارك وتعالى حكاية عن إخوة يوسف عليه السلام إذ قالوا لأبيهم (يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين قال سوف أستغفر لكم ربى إنه هو الغفور الرحيم) وفى جامع الترمذى أنه أخرهم إلى سحر ليلة الجمعة ومراد المصنف رحمه الله تعالى الرد على من ينكر التبرك بالصالحين وأن دعوتهم لا ترد ولهذا كلفوا أباهم يعقوب عليه السلام بالاستغفار ولم يستغفروا أنفسهم

فذاك وافق طه في توسله ٭ بذاته وبرسل الله لله(١)
وفى توسله بالسائلين وبم ٭ شاه إلى كل ما فيه رضى الله
ووافق الرسل أيضا فى توسلهم ٭ بجاهه وهو نور فى حمى الله
وليس من قال ياهذا الولى أغث ٭ أو قال خذ بيدى يامرسل الله
إلا كمن أبصرت عيناه متقيا ٭ فقال ياذا ادع لى واضرع إلى الله(٢)

---

(١) يشير الشيخ رحمه الله تعالى إلى قصة فاطمة بنت أسد أم على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهما ودخول النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قبرها وقوله الله الذى يحيى ويميت وهو حى لا يموت اغفر لأمى فاطمة بنت أسد ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والانبياء الذين من قبلي فانك أرحم الراحمين . رواه ابن أبى شيبة والطبرانى فى الكبير والأوسط وابن حبان والحاكم وأبو نعيم فى الحلية وابن عبد البر

(٢) ويشهد لما قال المصنف رحمه الله تعالى ما روى عن أمير المؤمنين أبى حفص عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قال استأذنت النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم فى العمرة فأذن لى وقال (لا تنسني ياأخى من دعائك) فقال كلمة ما يسرنى أن لى بها الدنيا وفى رواية قال (أشركنا يا أخى فى دعائك) رواه أبو داود والترمذى وقال حديث حسن صحيح ، وعن أسير بن عمرو قال كان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه إذا أتى عليه أمداد أهل اليمن سألهم أفيكم أويس بن عامر حتى أتى على أويس رضى الله تعالى عنه فقال له أنت أويس بن عامر قال نعم قال من مراد ثم من قرن قال نعم قال فكان بك برص فبرأت منه إلا موضع درهم قال نعم قال لك والدة قال نعم قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم يقول (يأتى عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد ثم من قرن كان به برص فبرأ منه الا موضع درهم له والدة هو بها بر لو أقسم على الله لأبره فان استطعت أن يستغفر لك فافعل فاستغفر لى فاستغفر له فقال له عمر أين تريد قال الكوفة قال ألا أكتب لك إلى عاملها قال أكون فى غبراء الناس أحب إلى فلما كان من العام المقبل حج رجل من أشرافهم فوافق عمر فسأله عن أويس فقال تركته رث البيت قليل المتاع قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم يقول يأتى عليكم أويس بن عامر مع أمداد من أهل اليمن ثم من مراد ثم من قرن كان به برص فبرأ منه إلا موضع درهم له والدة هو بها بر لو أقسم على الله لأبره فان استطعت أن يستغفر لك فافعل

أومثل شخص هوى فى هوة وغدا ٭ يقول خذ بيدى ياشيخ لله
لكن أهل الهوى لم يحملوه على ٭ معنى التماس الدعا من خيرة الله
ولا على طلب الإنقاذ من كرب ٭ قد ذل فيها بتقدير من الله
فكفروا من بنى الاسلام أكثرهم ٭ ولم يخافوا غدا من بطشة الله(١)
وأولوا كل نص لا يوافقهم ٭ تأويل ذى شطط ناء عن الله
وقيدوا مطلقا جاء الكتاب به ٭ وأطلقوا ما له قيد من الله
وفى الكرامات بعد الموت قد حكموا ٭ بالمنع فاعجب بهذا الأمر بالله
هل موت أصحابها ياصاح عندهم ٭ يحط من قدرهم شيئا لدى الله
حتى يضن بما يعلى مكانتهم ٭ بين الورى وهم الأحباب لله
أم صار إكرامهم بعد الحياة بها ٭ أستغفر الله يعيي قدرة الله

فأتى أويسا فقال استغفر لى قال أنت أحدث عهدا بسفر صالح فاستغفر لى قال لقيت عمر قال نعم فاستغفر له ففطن له الناس فانطلق على وجهه . وفى رواية لمسلم أيضا عن أسير بن عمرو أن أهل الكوفة وفدوا على عمر رضى الله تعالى عنه وفيهم رجل ممن كان يسخر بأويس فقال عمر هل ههنا أحد من القرنيين فجاء ذلك الرجل فقال عمر إن رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم قد قال إن رجلا يأتيكم من اليمن يقال له أويس لا يدع باليمن غير أم له قد كان به برص فدعا الله تعالى فأذهبه الا موضع الدينار أو الدرهم فمن لقيه منكم فليستغفر لكم . وفى رواية له أيضا عن عمر رضى الله تعالى عنه قال إنى سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم يقول إن خير التابعين رجل يقال له أويس وله والدة وكان به برص فمروه فليستغفر لكم

(١) عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى اله وسلم (إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما فان كان كما قال وإلا رجعت عليه) رواه الشيخان ، وعن أبى ذر رضى الله تعالى عنه أنه سمع رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول (من دعا رجلا بالكفر أو قال عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه) يعنى رجع رواه الامامان الجليلان البخارى ومسلم

وفى صحيح الامام مسلم عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم إذا قال الرجل هلك الناس فهو أهلكهم

هذا محال به قالوا وما برحت ٭ أقوالهم كلها زورا على الله
وكم رموا من نهاهم بالجنون ولم ٭ يخشوا ملاما ولا سخطا من الله
وبالغوا فى سباب الأولياء إلى ٭ أن أوقع الكل فى حرب من الله(١)
وقد دعوهم بأصنام نوقرها ٭ دوما ونعبدها جهلا مع الله
ياويلهم ما عبدنا غير خالقنا ٭ يوما ولم نعتمد إلا على الله
وقد روى الجم عن شيخ له اتبعوا ٭ قولا يكفره إن صح والله
وهكذا نصه قال حين تسمعه ٭ أعوذ من شر هذا القول بالله
هذى العصا من رسول الله أنفع لى ٭ إذ لا انتفاع بميت سار لله
تبا له أشهيد الحرب من ثبتت ٭ له الحياة باخبار من الله
يكون حيا وخير الرسل قاطبة ٭ يكون ميتا عجيب ذاك والله
فالمصطفى لم يزل حيا بروضته ٭ معظم الجاه مقبولا لدى الله
عليه تعرض أعمال لنا نسبت ٭ فى كل آونة من أعصر الله
فان رأى الشر يستغفر لفاعله ٭ وإن رأى الخير قال الحمد لله
وذاك نص صريح قد رواه لنا ٭ عنه الثقات فلا نرتاب والله(٢)

(١) يريد المصنف رحمه الله تعالى قوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم (من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب) رواه الامام البخارى فى صحيحه

(٢) يشير المصنف رحمه الله تعالى إلى قوله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم حياتى خير لكم تحدثون ويحدث لكم فاذا أنا مت كانت وفاتى خيرا لكم تعرض على أعمالكم فان رأيت خيرا حمدت الله تعالى وإن رأيت شرا استغفرت لكم رواه ابن سعد فى الطبقات عن بكر بن عبدالله . وروى أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم حياتى خير لكم ومماتى خير لكم رواه الحارث بن أسامة فى مسنده

وقد روى أن بعض العرب جاء إلى الإله قبر الشريف ونادى مرسل الله
بوجوه أن يسأل الرحمن مغفرة ◦ له فلباه طه صفوة الله
وقال ياذا الفتى أبشر فقد غفرت ◦ لك الذنوب باكرام من الله
وذا بمشهد قوم من صحابته ◦ تغمد الكل رضوان من الله
هذا دليل جلى على مثل سابقه ◦ على حياة أحب الخلق لله
والأنبياء جميعا فى برازخهم ◦ لهم حياة وتكريم من الله
وكيف ينكر هذا رب معرفة ◦ بأنهم خير من حازوا رضا الله
والمصطفى حينما أسرى الإله به ◦ صلى إماما بهم فى مسجد الله
وفى العروج رأى ابراهيم يقرئنا ◦ منه السلام مع البشرى من الله(١)
وحين فرض صلاة الخمس راجعه ◦ موسى المخصص بالتكليم لله(٢)

(١) يريد الشيخ طيب الله ثراه حديث ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم (لقيت ابراهيم صلى الله تعالى عليه وعلى ءاله وسلم ليلة أسرى بى فقال يا محمد اقرأ أمتك منى السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وأنها قيعان وأن غرسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر . رواه الترمذى وقال حديث حسن ولذلك ترد عليه الأمة الاسلامية السلام صلى الله تعالى عليه وعلى ءاله وسلم فى الصلاة التى علمها سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى ءاله وسلم الصحابة رضوان الله تعالى عليهم لما نزل قوله تبارك وتعالى « إن الله وملائكته يصلون على النبى ياأيها الذين ءامنوا صلوا عليه وسلموا تسليما فقالوا هذا السلام علمناه فكيف نصلى عليك فقال قولوا اللهم صل على محمد الخ الصلاة الابراهيمية والسلام كما علمتم رواه الامام مالك والجماعة

(٢) يشير المصنف رحمه الله تعالى الى حديث المعراج الطويل وقوله صلى الله تعالى عليه وعلى ءاله وسلم ثم فرض على خمسين صلاة كل يوم فرجعت فمررت على موسى عليه السلام فقال : بم أمرت قلت أمرت بخمسين صلاة كل يوم قال إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم وانى والله قد جربت الناس قبلك وعالجت بنى اسرائيل أشد المعالجة فارجع الى ربك فسله التخفيف لأمتك الحديث رواه البخارى ومسلم عن مالك بن صعصعة رضى الله تعالى عنه وجزى الله عنا كليمه عليه السلام أحسن الجزاء

وقد رءاه يصلي ضمن روضته ٭ قبل العروج لنيل الأنس بالله
وإن يقولوا لناذا القول محتمل ٭ عدنا إلى قولنا في مجتبى الله
لأنهم مثله في الاصطفاء وفي ٭ إرساله بالهدى من حضرة الله
وما على أحد المثلين جاز بلا ٭ ريب يجوز على ثانيه والله
كذاك من جاهدوا في الله أنفسهم ٭ أحياء يأتيهم رزق من الله
إذ الجهاد جهاد النفس أكبر من ٭ هذا الجهاد الذي ندريه والله
كما اليه رسول الله أرشدنا ٭ بقوله الفصل تبيانا من الله[1]
هذا وقد جاءه من صحبه رجل ٭ وقال يا أشرف الهادين لله
سمعت داخل قبر صوت صاحبه ٭ يتلو تبارك في الأسحار لله
فقال ذلك حق فهي منجية ٭ لمن تلاها كما جاءت عن الله[2]
هذا حديث بمعناه يدل على ٭ حياة من جاهدوا الأهواء في الله

(١) يشير المصنف رحمه الله تعالى إلى حديث جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى ءاله وسلم رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر رواه البيهقي

(٢) يريد الشيخ رحمه الله تعالى ما ورد في الحديث من الرجل الميت الذي سمع يقرأ سورة الملك في قبره ، وهو ما رواه ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال ضرب بعض أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى ءاله وسلم خباءه على قبر وهو لا يحسب أنه قبر فاذا هو قبر إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فأتى النبي صلى الله تعالى عليه وعلى ءاله وسلم فقال يارسول الله ضربت خبائي على قبر إنسان وأنا لا أحسب أنه قبر فاذا هو قبر إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فقال النبي صلى الله تعالى عليه وعلى ءاله وسلم هي المانعة هي المنجية تنجيه من عذاب القبر . أخرجه ابو عيسى الترمذي رحمه الله تعالى في جامعه

وروى أبو هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم قال (من القرآن سورة ثلاثون ءاية شفعت لرجل حتى غفر له وهي تبارك الذي بيده الملك) رواه ابوداود والترمذي وقال حديث حسن وفي رواية أبي داود تشفع

فخذه سيفا على الأعدا تسلطه ٭ عند النضال ففيه نصرة الله
ثم استغث برجال الله معتقدا ٭ حصول ما أنت ترجوه من الله
فالاستغاثة بالمخلوق جائزة ٭ بقول خير الورى الداعي إلى الله
إذ قد أجاز لمن فرت مطيته ٭ بأن يقول احبسوا يا أعبد الله
وأن يقول أعينونى بقوتكم ٭ إن رام عونا على أمر من الله
وذا بأرض فلاة ما بها أحد ٭ تراه أعينه من خلقة الله
فكيف نمنع من أن نستغيث بمن ٭ هم ظاهرون لنا من نخبة الله
هذا لعمرك أمر مدهش وبه ٭ ما قال عبد له نور من الله
ربا كفنا شر قوم حرموا سفها ٭ ما قد أحل لنا من جانب الله
واحفظ عقائدنا من أن تزيغ كما ٭ زاغت عقائدهم عن شرعة الله
وكف أيديهم عن كل محترم ٭ من القبور التى حلت لدى الله
فقد محوا من بلاد الله أكثرها ٭ محوا يجر عليهم نقمة الله
إذ ما أقيمت لغير الاعتبار بها ٭ مع ساكنيها عليهم رحمة الله
ولا اعتبار بقبر صار مختفيا ٭ عن العيون كما هى سنة الله
ولا لساكنه يهدى الترحم من ٭ شخص يمر بتلك الأرض والله
وربما صار ذاك القبر مزبلة ٭ من بعد ما كان يعلوه سنا الله
أو للتغوط بيتا فوق ساكنه ٭ يلقى البراز ولا يدرى سوى الله
هذى فظائع لا يرضى بها أحد ٭ ممن يقرون بالتوحيد لله
وأنت مولاى أولى من يغار على ٭ أحبابه فانتصر واقهر عدى الله
وادفع أذاهم فقد عم البرية فى ٭ بر وبحر وجل الخطب والله
ولا تدعهم يضلون العباد كما ٭ يهوى الرجيم عليه لعنة الله

وإن أردت هداهم فاهدهم كرما ﴿ إلى اتباع الذى يرضى لدى الله
والامر فيمن مضى منهم نفوضه ﴿ من غير حكم بشيء ما إلى الله (١)
إذ ليس يبعد عقلا أنهم رجعوا ﴿ إلى الصواب بتوفيق من الله
واقبل توسلنا فى كل نائبة ﴿ بالأنبياء هداة الخلق لله
وبالأكابر أهل الله من صرفوا ﴿ فى الذكر أوقاتهم والشكر لله
وفى إغاثة ملهوف يلوذ بهم ﴿ مستنجدا وله قلب مع الله
فكم رأينا إغاثات بأعيننا ﴿ منهم علينا بها جادت يد الله
لانستطيع لها جحدا وقد ظهرت ﴿ لنا كشمس الضحى فى عالم الله
وكم لهم من كرامات بها شهدت ﴿ عدول كل زمان قام بالله
هم سادة حبهم لاشك مفترض ﴿ وبغض أعدائهم يدنى من الله
لاخوف يخشى عليهم أن يحل ولا ﴿ هم يحزنون كما فى منزل الله
رب ارض عنهم وعنا يا كريم بهم ﴿ وارفع مقاماته فى جنة الله

١) يريد المصنف رحمه الله تعالى بهذا البيت أن لاينطلق لسان المبغض لأحوال هذه الطائفة المعركة والمكفرة لمعظم الأمة الاسلامية والعياذ بالله تعالى ويقابل الاساءة بالاساءة بل يعفو ويصفح وبالخصوص فى الأموات منهم فقد قال النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم لا تسبوا الأموات فإنهم أفضوا إلى ما قدموا رواه البخارى فى صحيحه . وروى الشيخان عن عبادة بن الصامت رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم قال وحوله عصابة من أصحابه بايعونى على أن لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوا فى معروف فمن وفى منكم فأجره على الله ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب فى الدنيا فهو كفارة له ومن أصاب من ذلك شيئا ثم ستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه فبايعناه على ذلك . وقد نظم الشيخ الفقيه الصالح ابراهيم اللقاني رحمه الله تعالى هذا الحديث فى جوهرته فقال

ومن يمت ولم يتب من ذنبه ﴿ فأمره مفوض لربه

وارفع جميع خطايانا فأنت لنا ٭ قد قلت لاتقنطوا من رحمة الله
ونجنا من زمان كله فتن ٭ وفيه أهل الهوى صدوا عن الله
والحق أصبح فيه لا نصير له ٭ يذود عنه ولا عون سوى الله
والجهل ساد وأهل العلم قد لزموا ٭ فيه الحياد وقالوا الأمر لله
والأمة افترقت فيه على فرق ٭ شتى كما قال هادينا إلى الله
والكل فى النار إلا فرقة تبعت ٭ هدى الرسول وما أوتى من الله (١)
والطف بناظمها والمسلمين ومن ٭ قد رباه ومن ءاخاه فى الله
واغفر لكل امرىء منهم خطيئته ٭ فما له غير حسن الظن بالله (٢)
واجعل رسولك خير الخلق شافعنا ٭ فى يوم عرض الورى طرا على الله
عليه والآل والأصحاب سادتنا ٭ أوفى صلاة وتسليم من الله
والحمد لله ربى فى الختام كما ٭ فى بدء نظمى أقول الحمد لله

---

(١) نظم الشيخ الصالح رحمه الله تعالى قوله صلى الله تعالى عليه وعلى ءاله وسلم (تفترق أمتى ثلاث وسبعين فرقة الحديث أخرجه أبو داود والترمذى وابن ماجه وابن حبان والحاكم (٢) يشير المصنف رحمه الله تعالى الى الحديث القدسى عنه صلى الله تعالى عليه وعلى ءاله وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل أنا عند ظن عبدى بى رواه الشيخان عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أسأل الله العظيم رب العرش العظيم الكريم أن يجعلنا من الفرقة الناجية ومن الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه . هذا ما يسره الله عز وجل من التعليق على هذه المنظومة المباركة والنصيحة الكافية . عبد الله محمد الهادى عفا الله تبارك وتعالى عنه وعن اخوانه المسلمين بجاه رسوله خاتم النبيين والحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى

﴿ تم بحمد الله تعالى كتاب سهام الجلالة ويليه كتاب ﴾
﴿ فصل المقال فى حكم الصلاة بالنعال ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما صليت على سيدنا ابراهيم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما باركت على سيدنا ابراهيم وعلى آل سيدنا ابراهيم فى العالمين إنك حميد مجيد.

إن الحمد لله نستعينه ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل الله فماله من هاد

أما بعد فقد خطر ببال الفقير المنكسر خاطره من قلة العمل عبدالله ابن محمد الهادى بن عبد القادر بن محمد بن غلام الله البلبيسى ان أجمع مختصراً فى حكم الصلاة فى النعال واختلاف العلماء فى ذلك وسميته ﴿ فصل المقال فى حكم الصلاة بالنعال ﴾

وما لى فيه سوى أننى ٭ أراه هوى وافق المقصدا
وأرجو الثواب بكتب الصلا ٭ ة على السيد المصطفى أحمدا

والله أسأل ان يجعله خالصا لوجهه الكريم وسببا فى شفاعة نبيه يوم الهول العظيم.

روى البخارى ومسلم فى صحيحيهما عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى فى نعله. قال الحافظ ابن حجر فى فتح البارى قوله يصلى فى نعليه قال ابن بطال هو محمول على ما اذا لم يكن فيها نجاسة ثم هى من الرخص كما قال ابن دقيق العيد لا من المستحبات لأن ذلك لا يدخل فى المعنى المطلوب من الصلاة وان كان

من ملابس الزينة الا ان ملامسته الارض التي تكثر فيها النجاسات قد تقصر عن هذه الرتبة واذا تعارضت مراعاة مصلحة التحسين ومراعاة ازالة النجاسة قدمت الثانية لأنها من باب دفع المفاسد والاخرى من باب جلب المصالح قال الا ان يرد دليل بالحاقه بما يتجمل به فيرجع اليه ويترك هذا النظر قلت قد روى أبو داود والحاكم من حديث شداد ابن أوس مرفوعا خالفوا اليهود فانهم لا يصلون فى نعالهم ولا خفافهم فيكون استحباب ذلك من جهة قصد المخالفة المذكورة وورد فى كون الصلاة فى النعال من الزينة المأمور بأخذها فى الاية حديث ضعيف جداً أورده ابن عدى فى الكامل وابن مردويه فى تفسيره من حديث بى هريره والعقيلي من حديث أنس هـ.[1]

وقال القاضي عياض الصلاة فى النعل رخصة مباحة فعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله تعالى عنهم وذلك مالم تعلم

(١) ﴿ فائدة ﴾ نص نقاد علماء الحديث رحمهم الله تعالى على بعض الكتب المشهورة بالضعف لأن أصحابها لم يلتزموا الحديث الصحيح والحسن فقط بل ذكروا الضعيف ومتى ذكروا الاسناد فلا تبعة عليهم ولذا قيل الاسناد من الدين ، فعلى الناظر فى هذه الكتب أن ينظر فى أسانيدها قبل الحكم عليها إذا كانت فيه أهلية النظر وإلا فالأمر كما قال الله تبارك وتعالى (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) فأول هذه الكتب كتاب الضعفاء للعقيلي والثانى الكامل لابن عدى والثالث تاريخ بغداد للخطيب البغدادى والرابع تاريخ دمشق لابن عساكر والخامس مسند الفردوس للديلمي والسادس نوادر الأصول للحكيم الترمذى والسابع تاريخ الحاكم ، وإلى هذا أشار العلامة المحقق الشيخ العلوى الشنقيطي فى كتابه طلعة الأنوار مختصر ألفية الحافظ العراقى فى علم الحديث بقوله

وما نمي لعق وعد وخط وكر ومسند الفردوس ضعفه شهر
كذا نوادر الأصول وزد للحاكم التاريخ ولتجتهد

نجاسة النعل فان علمت وكانت نجاسة متفقا عليها كالدم لم يطهرها الا الماء وان كانت مختلفاً فيها كاروات الدواب وأبوالها ففى تطهيرها بالدلك بالتراب عندنا قولان .

وقال النووى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى فى النعلين فيه جواز الصلاة فى النعال والخفاف مالم يتحقق عليها نجاسة ولو اصاب أسفل الخف نجاسة ومسحه على الارض فهل تصح صلاته فيه خلاف للعلماء وهما قولان للامام الشافعى رضى الله تعالى عنه الاصح لا تصح .
وقال الشيخ الأبى فى شرح هذ الحديث على مسلم ما نصه ظاهره التكرار ولا يؤخذ منه جواز الصلاة فى النعل وان كان الأصل التأسى لأن تحفظه صلى الله عليه وسلم لا يلحق به غيره وهذا حتى فى حق غيره فان الناس تختلف حالهم فى ذلك فرب رجل لا يكثر المشى فى الأزقة والشوارع وان مشى فلا يمشى فى كل الشوارع التى هى مظنه النجاسة وإنما يؤخذ جواز الصلاة فيها من فعل الصحابة رضى الله تعالى عنهم منضما الى اقراره صلى الله عليه وسلم لهم ثم إنه وان كان جائزاً فلا ينبغى أن يفعل لا سيا فى المساجد الجامعة فانه قد يؤدى إلى مفسدة أعظم كما اتفق فى رجل يسمى (هداجاً) من أكابر أعراب أفريقية إذ دخل الجامع الاعظم بتونس (١) بأخفافه فزجر

(١) هو المسمي الآن بجامع الزيتونة وهو أقدم من الجامع الأزهر لأن الشيخ الفقيه أبا الحسن على بن زياد التونسى قرأ فيه موطأ الامام مالك وتوفى سنة ثلاث وثمانين ومائة سمع من الامام مالك وسفيان الثورى والليث بن سعد وغيرهم وعنه البهلول بن راشد وشجرة بن عيسى وأسد بن الفرات وسحنون صاحب المدونة وغيرهم رضى الله تعالى عنهم من التونسيين ، وتاريخ بناء هذا المسجد عام ١١١

عن ذلك فقال دخلت بها كذلك والله على السلطان فاستعظم ذلك العامة منه وقاموا عليه وأفضت الحال الى قتله وكانت فتنة وأيضا فانه يؤدى الى أن يفعله من العوام من لا يتحفظ فى المشى بنعله بل لا يدخل المسجد بالنعل مخلوعة الا وهو فى كن يحفظه .

وأفتى العلامة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر السيد محمد الخضر حسين التونسى فى سؤال ورد على مجلة لواء الاسلام فى عددها الصادر غرة صفر سنة ١٣٦٩ هجرية يقول صاحبه رأيت جماعة يقولون نحن جماعة أنصار السنة المحمدية يصلون بأحذيتهم ورؤسهم عارية ويسبون علماء الأزهر ويسبون أولياء الله تعالى ويقولون الاحتفال بمولد المصطفى صلى الله عليه وسلم اشراك بالله عز وجل فنرجو الافادة .

فقال الشيخ اما الصلاة فى النعال فصحيحة اذا كانت طاهرة لا تمنع وضع بطون رؤس الاصابع على الارض أما اذا كانت النعال نجسة أو صلبة لا يتمكن المصلى من اتمام السجود فيها فان الصلاة لا تصح فيها وقد اشتبه على كثير من الناس هذا الحكم فجوزوا الصلاة فى النعال مطلقا محتجين بورود ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وسبب الاشتباه أنهم لم يفرقوا بين نعالنا فى هذا العصر والنعال التى كانت تلبس فى زمن الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم مع أن الفارق ظاهر فقد كان مسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم مفروشاً بالحصباء وحجرات أزواجه رضى الله تعالى عنهن كانت فى اتصال المسجد فلم تكن نعله مظنة اصابة قذر أصلا لانه لم يكن يطأ بها شوارع قذرة وكانت

المدينة المنورة طاهرة الازقة من الأرواث والأرجاس فكان الماشى فيها يتمكن من المشى على طهارة والدليل على أن النعل يجب أن تكون طاهرة ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه خلع نعليه عندما أخبره جبريل عليه السلام ان بها اذى كما فى صحيح السنة نعم ورد أن بعض العلماء رأى ان الصلاة فى النعال مستحبة مخالفة لليهود لكن ذلك مقيد بما اذا كانت النعل طاهرة أما النجسة فلا على أن أهل الكتاب أصبحوا اليوم يدخلون كنائسهم ويصلون بنعالهم فتكون المخالفة لهم فى خلع النعال لا فى لبسها .

وأما صلاة حاسر الرأس من غير عذر فصحيحة اذا كانت مستجمعة للشروط والاركان لكنها خلاف السنة المتوارثة والعمل المتوارث فى كل بقعة من بقاع المسلمين على توالى القرون وقد كره بعضهم كشف الرأس فى الصلاة كما فى شرح منيته المصلى ص ٣٤٨ ويكره أن يصلى حاسراً رأسه تكاسلا بأ ن استثقل تغطيته ولم يرها أمراً مهماً فى الصلاة فتركها لذلك ولا بأس اذا فعله تذللا وخشوعا وكلمة لا بأس تشعر أن الاولى أن لا يفعله وان يتذلل ويخشع بقلبه فان الخشوع من أفعال القلب ومع ذلك فالله تعالى أمرنا ان نأخذ الزينة فى الصلاة والتزين يشمل ما يتزين به كل عضو من أعضاء الانسان فاذا كان غطاء الرأس زينة كان داخلا فى هذا الأمر والكلام فى هذه المسألة طويل ولكن على كل حال صلاة المصلى صحيحة لأن الرأس مما لا يجب على الرجال ستره فى الصلاة باجماع العلماء. والجدل فى هذه المسائل وأشباهها عقيم وتضييع للوقت فى غير طائل واثارة للتفرقة والنزاع بين الناس وينبغى اجتنابه ضنا بالوقت وحرصا على الوئام .

أما سب علماء الأزهر فذلك أمر لا يرضاه أحد لدينه بل ولا

لدنياه لأن الله تعالى نهى عن السب والشتائم اذا وجه شيء منها لأى إنسان من عباده فضلا عن سب رجال يعتبرون حراساً لدينه مرشدين خلقه لهم من التجلى والمنزلة فى نفوس الناس بقدر مالهم من علم وخلق

وأما سب أولياء الله تعالى فهو إثم كبير لا يليق أن يرتكبه أحد فالله تعالى قال فيهم (الا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون)(١) فاذا كان أحد من تلك الطائفة يسب الأولياء الذين عرف عنهم التقوى والصلاح فقد خالف أمر الله ووجب ارشاده ليتوب من ذنبه ولكن لعل ذلك كله ناشىء من عدم الحكمة ومن تحدى الناس بعضهم لبعض والا فلا ينبغى ان يكون شيء من ذلك مثار جدل أو خلاف والقول بان الاحتفال بمولد المصطفى صلى الله عليه وسلم اشراك قول بعيد عن الصواب كل البعد ولا ينبغى ان يقول به أحد وقد ألف العلماء مصنفات كثيرة فى الاحتفال بالمولد الشريف ولم يقل احد إنه اشراك بل لم يقل احد انه معصية وغاية ماقاله بعضهم انه بدعة مذمومة اذ لم يرد له أصل فى الكتاب والسنة ولكن العلماء تعقبوا هذا القول واستخرج له الحافظ ابن حجر العسقلانى رحمه الله تعالى أصلا من السنة وهو ما ثبت فى الصحيحين من ان النبى صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم قدم المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسألهم فقالوا هذا يوم أغرق الله فيه فرعون ونجى موسى فنحن نصومه شكرا لله تعالى فقال عليه السلام أنا أحق بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه قال فيستفاد منه فعل الشكر لله تعالى على ما من به فى يوم معين من إسداء نعمة أو دفع نقمة ويعاد

(١) وقال صلى الله تعالى عليه وسلم من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب رواه البخارى

ذلك فى نظير هــذا اليوم من كل سنة والظاهر ان ابن حجر يريد أن يقول ان هذه الاحتفالات ليست الا مظهراً من شكر الله على النعمة التى أنعم بها على الوجود بظهور نبى الرحمة صلى الله تعالى عليه وءاله وسلم وهذا كلام حسن والاعتدال ان يقال ان المولداذا خلا من المنكرات كان بدعة حسنة بل كان مطلوبا باظهار السرور بمولد الرسول صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم أما اذا اشتمل على شىء من المنكرات فان منع المنكرات واجب واذا لم يمكن منعها كان الاحتفال غير مرضى أما ان ذلك اشراك فان هذا القول من تغالى هذه الطائفة التى تعودت أن تبالغ فى كلامها وارشادها وينبغى نبذهم واتباع العلماء العاملين انتهى .

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين والحمدلله أولا وءاخراً وصلى الله تعالى على سيدنا محمد الفاتح الخاتم

ومن احسن الاستغاثات بالنبى صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم قصيدة لسيدى محمد بن ابى الحسن البكرى المصرى رضى الله تعالى عنه وهى

مَا أَرْسَلَ الرَّحْمٰنُ أَوْ يُرْسِلُ   مِنْ رَحْمَةٍ تَصْعَدُ أَوْ تَنْزِلُ
فِى مَلَكُوتِ اللهِ أَوْ مُلْكِهِ   مِنْ كُلِّ مَا يَخْتَصُّ أَوْ يَشْمَلُ
إِلَّا وَطٰهَ الْمُصْطَفَى عَبْدُهُ   نَبِيُّهُ مُخْتَارُهُ الْمُرْسَلُ
وَاسِطَةٌ فِيهَا وَأَصْلٌ لَهَا   يَعْلَمُ هٰذَا كُلُّ مَنْ يَعْقِلُ
فَلُذْ بِهِ مِنْ كُلِّ مَا تَخْتَشِى   فَإِنَّهُ الْمَرْجِعُ وَالْمَوْئِلُ
وَحُطَّ أَحْمَالَ الرَّجَا عِنْدَهُ   فَهْوَ شَفِيعٌ دَائِمًا يُقْبَلُ

وعذ به فى كل ما ترتجى — فانه المأمن والمعقل
وناده إن ازمة انشبت — أظفارها واستحكم المعضل
يا أكرم الخلق على ربه — وخير من فيهم به يسأل
قد مسنى الكرب وكم مرة — فرجت كرباً بعضه يذهل
فبالذى خصكها بين الورى — برتبة عنها العلا تنزل
﴿عجل باذهاب الذى أشتكى — فان توقفت فمن أسأل﴾
فحيلتى ضاقت وصبرى انقضى — ولست أدرى ما الذى افعل
وأن ترى أعجز منى فما — لشدة أقوى ولا أحمل
فأنت باب الله اى امرىء — أتاه من غيرك لا يدخل
عليك صلى الله ما صافحت — زهر الروابى نسمة شمأل
مسلما ما فاح عطر الحمى — وطاب منه الند والمندل
والآل والأصحاب ما غردت — ساجعة أملودها مخضل

تمت هذه الاستغاثة المباركة ، فمن كانت له حاجة فليقم فى الثلث الاخير من الليل ويصلى ما شاء أن يصلى ثم يقرا هذه الاستغاثة ويكرر قوله عجل باذهاب الذى اشتكى فان توقفت فمن اسال سبعين مرة فانها تقضى حاجته باذنه تعالى

تقريظ

قد اطلع على هـذا الكتاب صاحب الفضيلة علم الأعلام * وتاج الأجلة العظام * بهجـة العلماء * وفخر الأتقياء * شيخ العلماء بمعهد أسيوط * سيدى الشيخ محمد بن سليمان السرلى * فتكرم رضى الله عنه وأرضاه بتقريظه قائلا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمـد لله رب العالمين حمـداً كثيراً يوافى نعمه ويكافىء مزيده. والصلاة والسلام على من بعثه الله تعالى نوراً وهدى ورحمة للعالمين سيدنا ومولانا ونبينا محمد عبد الله ورسوله إنسان عين الوجود * والسر فى كل موجود * وعلى آله وأصحابه أنجم الهدى ومن تبعهم باحسان إلى يوم الدين (وبعد) فقد قرأت كتاب (غاية الوصول فى نجاة أبوى الرسول) من مبدئه إلى غايته فألفيته على صغر حجمه غزير العلم قد حوى خلاصة ما قيل فى هذا الموضوع الخطير * مشتملا على الأدلة الساطعة والحجج الدامغة * قطع به مؤلفه دابر الشك ولم يدع وراءه قولا لقائل * فجزى الله ذلك المؤلف الفاضل الشيخ (عمران بن أحمد بن عمران) المالكى خير الجزاء ونفع به إنه قريب مجيب ؟

الفقير إلى الله

محمد بن سليمان السرلى الحنفى

شيخ علماء معهد أسيوط الدينى الإسلامى

٢٢ ذو القعدة سنة ١٣٥٢

٣ - ٣/٨ سنة ١٩٣٤